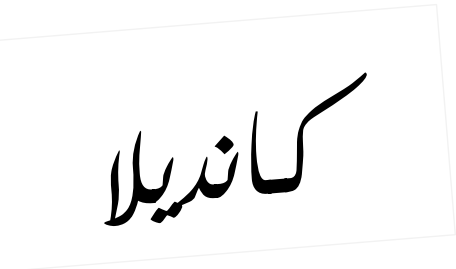

کاندیلا

باقي
للنشر والتوزيع

المدير العام / أسماء محمد نافع
مدير النشر / محمد عبدالرازق

كانديلا

تأليف: محمود مصيلحي

مراجعة لغوية: هند محمود

التنسيق الداخلي: أسماء عطا

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

رقم الإيداع: ٧٥٤٥

تدمك: ٩٧٨/٩٧٧-٨٥٤٨٤-٧-١

جميع حقوق محفوظة ©
لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الناشر،
استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا المصنف، أو استنساخها
أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة
إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام
أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any electronic or mechanical means, including information storge and retrieval systems, without permission in writing from the publisher,except by reviewers, who may quote brief passages in a review

رواية

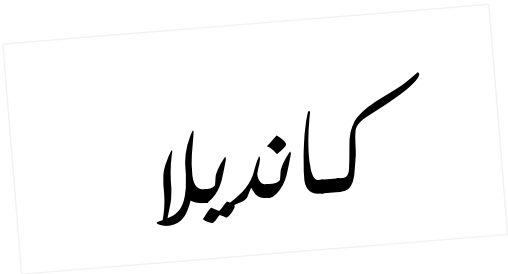

أن تعيش في تلك الزاوية المظلمة من الحياة

تأليف

محمود مصيلحي

إهداء خاص

إلى من تطرقتُ للكتابة من أجلها، إلى من
غيرت حياتي دون أن تعرف، إلى تلك
الشخصية الفريدة في هذا العالم، مزاج القهوة،
وعين العسل المخفف، ذات الشال..

إلى عالمي الخاص

(إيمان محمد)

إهداء

لكل الهاربين من عدالة الحياة، الساكني الليل،
المغتربين عن الواقع والمنطوين عن الناس، لكل من
اتخذ من الخيال موطنًا له، وطن وجد راحته بين أروقة
الأحلام، ولكل القاطنين بمدينة العجائب والآمال
الضائعة..

□

الفصل الأول

كل المفقودين في حياتك يُحيطون بك من جميع
الاتجاهات، ولكنك تحتاجُ لأن تحلم بهم حتى تراهم..

١٧ نوفمبر ٢٠١٠..

ذلك الصقيعُ البارد أسكنَ أغلب الناس في بيوتهم الدافئة، إلا هو فكان لا يزالُ يخطو خطواته رغم انقراض درجة الحرارة في هذا الوقت من السنة، ها هي شوارع القاهرة تغزوها الأمطار، أمطارٌ تكاد أن تتجمد لتَسقط ثلجًا من شدة البرودة، ينقصها اللون الأبيض لتشبه باريس، ولكن تلك الحرارة التي تنبعث من قلبيهما كانت كافيةً لإشعال البراكين وإخمادها في آنٍ واحد.

بادرها هو الحديثَ اللازمني وبدأ يُثني عليها وجودها معه:

- إنتِ عارفة! أنا أعرفك من قبل حتى ما أشوفك، أنا بس كنت مستني اللحظة اللي أشوفك فيها علشان يبقى عندي صورة أقدر أفتكرك بيها.

بدأت هي تداعب وجنتيه وتقول في سخرية:

- وده ازاي يعني يا عم؟!

- أنا كنت مستني اللي زيك طول حياتي، ومعتقدش إنه صدفة إنك تكوني بنفس الشكل اللي في خيالي، ولأول مرة أطمن

وأصمم بإن مهما كان المستحيل لازم أوصلك، لأن اللي حبيتها واستنيتها سبع سنين عاوزها جنبي.

لتنبت على وجهها حُمرة الخجل ويصبح كالوردة الحمراء في ربيعها النضِر، وتنظر له بعينيها المتلألئتينِ بالدموع، فيتابع هو قائلًا:

- إنتِ الأمل اللي عشت أحلم بإنه معايا، إنتِ الحلم والخيال اللي مكنش حد بيصدقني لما أكلمه عنه.

لتُردف هي قائلةً بعد أن تملَّكها ذلك الإحساس الساحر من الجنون والخجل في الوقت ذاته:

- بحبك يا نور!

فأغمضَ عينيه وهو لا يشعر بنفسه التي كأنها صعدت السماء وحلَّقت فوق تلك الغيوم من الأحلام المُبعثرة على مرِّ السنين، هي له تلك الفتاة، هي تلك الحياة التي لطالما كان يبحث عنها وينتظر عهدها ممهدًا، هي التي لم تترُك خياله للحظة، والتي سكَنت خاطره وباله، ها هو الدعاء المتكرر يُستجاب، في تلك

اللحظة، كان يبحث عن كلمةٍ تكافئُها جمالًا، فلم يجد لها سوى أن قال:

- وأنا كمان بحبـــ...

لتتبخر هي ولا تراها عيناه، فيستيقظ عقله ويوقن أنه قد عاد ليتخيلها في تلك الطرق، ولم يكُن يدرك أنه يقف كل هذا الوقت وحيدًا تحت تلك الشلالات المتساقطة من قطرات الماء من السماء، ذلك الاحتياج جعله قريبًا إليها جدًا هذه المرة، وكان هذا كل ما يحتاج إليه في هذه البرهة من الوقت لجعله يبتسم ويرحل في سلام.

***

- حاضر! جايه أهو.

كان الباب يدُق بهدوء دقاتٍ متتالية ولكن لا تكاد تُسمَع، في ذلك البيت الدافئ المُنغلِق عن صخب الرياح والأمطار بالخارج، لتمشي هي مسرعةً نحو الباب لتفتح، فيدخل وقد تبللت لحيته وتبلل ذلك الشعر الأسود الداكن، وقد بدا على وجهه الاحمرار أثر انخفاض الحرارة، دخل هاربًا إلى الدفء بعدما أغلق الباب

ملقيًا من يده المفتاحَ على المنضدة وفي طريق الذهاب إلى غرفته، لتُثرثر هي وتقول:

- المفتاح معاك على طول وبرضه بتدور عليه، فتحتاج حد يفتح لك!

- معلش خليها عليكِ بقى، أنا داخل أنام، فيا ريت محدش يفتح الباب علشان الهوا.

أومأت رأسها تلبيةً لطلبه، فاتجه هو إلى الغرفة ليجد أمه قد خرجت من المطبخ ووجهها مستشيطٌ بالضيق وعدم الرضا لحال ابنها التي تسوء يومًا عن الآخر، وتقول:

- هو في حد يتمشى في السقعة دي برضه؟!

لينتبه هو من شروده ويُجيبها:

- ما إنتِ عارفة يا أمي إني بتمشى كل يوم في الوقت ده، وبعدين أنا بحب المطر فطبيعي يعني، اطمني إنتِ بس يا حجة ومتشغليش بالك.

استسلمت لفشل محاولة اقناعه التي عمِلت عليها منذ فترة، وقالت في يأس:

- أقول إيه بس؟! ربنا يهديك يا ابني.

ليُؤمِّن على دعائها ويفتح باب غرفته، الباب الذي يُخفي خلفه طموحًا وأحلامًا باتت جامدة دون الوقوع فيما يُسمى بأكذوبة الحياة.

ترك جسده مُلقيًا إياه على سريره، ناظرًا إلى السقف المُعتم في غرفته، داعيًا الله بأن يمنحه الهبة لكي يراها ويعرفها، بل وأن يسمع صوتها ويتعمق في عينيها، وبأن يجمعه بتلك المجهولة التائهة بين شتات ذكرى لم تحدث.

بدأ في طرح نفس التساؤلات على نفسه..

إلى متى سنظلُّ هكذا يا عزيزتي؟ أين أنتِ في هذا العالم المظلم؟ هل أنتِ بخير؟ هل تسمعينني كما أسمعُك؟!

لم يجد ردًا، قد عجَز خياله في هذه المرة عن خلق ذلك الصوت العذب البريء، فأخذ دفتره الصغير الذي هو أحد ملاجئ الذكرى، شرع القلم ينزف أحباره فيه وتدفَّقت أنهارٌ من الدموع، والتي جعلت وجهه باهت اللون وشاحب الملامح، وضع جملةً واحدةً مُثقلة على السطور حتى كاد القلم أن يُكسر

من شدة ما حمل، وكأنه ينحتُ جملةً أخيرة على صخرة مهترئة في آخر جُزر العالم الباقية، سالَ الحبر على الورق، وترك جملةً محتواها: "مش كنتي تطولي شوية وتفضلي لي العمر كله!"، ثم أرَّخ بتاريخ ١٧ نوفمبر ٢٠١٠، وهمسَ لنفسه بنبرةٍ يذبحها الألم قائلًا: "شكرًا لوجودِك في حياتي".

***

(نور مصطفى الحسيني)، مقبلٌ على سن الـثمانية عشر عامًا، صاحب بشرة فاتحة مائلة للاحمرار، له شعر غزير أسود داكن، وعينان سوداوان لا تستطيع التمييز بينهما وبين شعره لما تملكانه من شدة السواد، ويملك لحيةً مهندمةً دائم الاهتمام بها، يدرس في المرحلة الثانوية في السنة الأخيرة له، يعرف كيف ينظم وقته ليبقى الوقت الكافي والأمثل للمذاكرة، والوقت الطويل الذي يحتاجه لنفسه وحدها، ولقراءة بعضٍ من الروايات وسماع الأغاني وكتابة الشعر التي يهواها.

***

- اصحى يا عم نونو!

كان ذلك صوت أخته (إسراء)، صاحبة الستة عشر عامًا، ذات ملامح صغيرة وبشرة بيضاء، والتي كانت تتعمد مناداته بذلك الاسم الذي يكرهه لكي تضايقه فيستيقظ.

نظرَ إليها بعينيه اللتين تكادان تنغلقان من عدم تحمل الإضاءة وقال:

- مش ناقصك على الصبح.

لتردَّ هي بضحكٍ متناثر:

- طب قوم طيب قبل ما الفطار يبرد.

ثم غمزت له وأكملت في نبرةٍ حادة:

- ولا تحب أقول للحاج يصحيك بطريقته؟!

ليجيبها في ضحك:

- لا وعلى إيه! أنا أصلًا قايم أهو.

فبدأ نفسَ اليوم الذي لا يملكُ في جعبته له أي جديد سوى التعب والإرهاق النفسي والفكري العتيق، ذهب لتناول نفس الإفطار، وهو الوقت الوحيد الذي يجتمع فيه أفراد أسرته الصغيرة، المكونة من الأم (سعاد)، والأب (مصطفى الحسيني)

والذي يكون طوال اليوم في عمله في تلك الوظيفة الحكومية التي يعمل بها لفترتين ليوفر احتياجات بيته، والأبناء (نور)، إسراء وعمر أصغرهم صاحب الـثلاثة عشر عامًا، وكلًا منهم في عامه الدراسي.

أنهوا جميعًا إفطارهم، وبدأ الأب يمارس دوره في توبيخ ابنه بداعي أنه يتكلم لمصلحته، قائلًا:

- مبشوفكش يعني بتذاكر، ده إن شوفتك أصلًا! إنتَ على طول بره البيت.

كان لا يجد في الحديث مع أبيه تلك الراحة، ولا يعلم كيف يستطيع أن يُقنعه بما في خلده، وفي كل مرة كان يفشل في إقناعه، فحاول أن يباغته في الحديث وقال:

- هذاكر حاضر!

ليرد أبوه في نبرةٍ حازمة:

- إنت تالتة ثانوي يا بيه، فاهم يعني إيه تالتة ثانوي؟!

ليهز رأسه بالإيجاب محاولًا إنهاء الحوار بينهما بأسرع ما يمكن، فيتابع أبوه متوعدًا له بالعقاب ويقول:

- إنت عارف لو مجبتش كلية من كليات القمة، مش هخليك تدخل البيت! أنا مش بتعب وبشتغل فترتين في الشغل علشان إنت تقعد تخرج وتلعب ومتذاكرش، وتجيب لي في الآخر كلية حقوق ولا تجارة، فاهم؟! وإلا!

لينصاعَ لأمره ويقول:

- فاهم!

وسرعان ما قامَ ليتجه إلى غرفته وينعزل عنهم، فهو يحاول أن يخلق مساحته الخاصة، لا يريد أن يجتمع بمن لا يفهمونه ولا يريد الانطواء، ولكنه كان مجبورًا على الوحدة، دخل الغرفة وتناولت يداه ما كان يبتغيه وتهفو نفسه إليه.

ذلك الكتاب الذي اشتراه من إحدى المكتبات على غير عادته، فهو لا يحب قراءة الكتب، ولكن يهوى قراءة الروايات التي لطالما كان يجد بها الخيال الذي يحبه، والحكايات القريبة منه، فقد كان يجد فيها ما يتحاكى عنه، ولكن لم يجد ما يحكي عنها، فهي لا تشبهُ تلك الضعيفة التي تقع في شباكِ هذا أو ذاك، ولا تلك الثرثارة التي تهوى الكذبَ بالقول والمبالغة، فكان يتجول في

المكتبة متجهًا نحو روايةٍ ما وقد دبر لها تلك الحصة من مصروفه، ولكن سرعان ما لفتَ انتباهه هذا الكتاب والذي كان بعنوان "الحلم الواعي"، وقد كتب على غلافه في جانب منه "تعلم كيف تتحكم بحلمك"، كان هذا الكتاب وتلك الجملة بالتحديد بمثابة طوق نجاةٍ له، فهو الذي أصبح على وشك الغرق والهوس بتلك التي لم يجدها في عالمه، التقطه من رف مكتبته الصغيرة مستشعرًا أملًا ينبض منه، فقد كان شغوفًا جدًا بالقراءة فيه، ولم يفقد شغفه رغم تلك الجمل المملة التي استهلَّ بكثرتها الكاتب لكي يجني العديد من الصفحات، والتي بطبيعتها سترفع من ثمن الكتاب.

شرع في القراءة، وبعد مللٍ طويل بدأ يجني ثمار ما ابتغاه، فقرأ فيه عن العظماء ممن كانوا يبدعون ويبرعون في التحكم بأحلامهم، وأبرزهم العالم الشهير (فرانك آينشتاين)، فقد ساعده تحكمه في أحلامه في خلقِ أصعب المعادلات الفيزيائية وحلها، وإن كل ما في الأمر هو أن تعطي العنان لتلك الموهبة التي تمتلكها، لتدخل وتُحلق في عالمك الخاص، كانت هناك بعض الإرشادات

والتحذيرات، وكانت الإرشادات عبارة عن بعض الخطوات العملية التي ستسهل عليك الأمر برمته، أولها هو أن تفكر كثيرًا قبل النوم في الشيء الذي تريد أن تحلم به، وثانيها أنه يجب عليك أن تحتفظ بدفترٍ صغير بالقرب من فراشك لتدون فيه أحلامك التي حلمت بها بعد الاستيقاظ مباشرةً، وكانت هناك بعض التمارين والعادات التي يجب عليك أن تمارسها لتفادي بعض المحذورات التي لم يخلُ الكتاب منها، فقد شدَّد على الحرص على العمل بها وجعلها تتكرر يوميًا، وعرَّف الكاتب بعض العلامات التي تجعل عقلك يعي إن كان في الحُلم أم في الواقع، فإن تغيرت الأرقام بمجرد النظر من اليسار لليمين، وإن خلَت اليد من الخطوط، يكون ذلك حلمًا، كثُرت العلامات، وارتفعت وتيرة التحذيرات.

لفتَ نظره بعض العبارات التي ذكرها الكتاب صفحةً بعد الأخرى، ولكن أكثرها جذبًا لانتباهه كان تلك العبارة:

"لا تدع الهروب يتملكُك، واحرص على أن تجعل لخطواتك حدًّا حتى لا تصل إلى مدينة العجائب والآمال الضائعة، مدينة اللاعودة، لأنها ستهوي بك حينها إلى حافة الجنون حتمًا!" .

***

١ فبراير ٢٠٢٢..

لم تشرق الشمس، ولم يكن لها أن تشرق في تلك الغرفة المُعتمة والتي كان يجلس بها القرفصاء، كانت الدموع تسيل منه كما يسيل الدم الأسود في شريانٍ مريض، بدا لو أنه قد قارب على السبعين، أصبح شعره كثيفًا جدًا إلى الحد الذي لم يكد يظهر من وجهه سوى عينيه، أخذ يتنهد مرةً تلو الأخرى، ثم ينظر للأرض مرة ويبحث عن السماء أخرى فلا يجد سوى الظلام، لم تكن الحياة أبرع من أن تسلُبك روحك ثم تردها إليك مرةً ثانية، ولكن بعد أن تهترئ، لتعيشَ في برزخ الموت مؤبدًا، ذلك البرزخ الذي بين الحياة والموت، حيث صراخ المعذبين ودماؤهم السائلة التي لا مخرج لها سوى أن تتمثل في العيون بالدموع، كانت أقصى

أمانيه هو الموت والرحيل عن هذه الحياة، ليجد صوتًا رقيقًا أنثويًا يقول له في بهجة:

- كل سنة واحنا طيبين.

فسهى عن الرد، لتكرر هي مرةً أخرى:

- كل سنة وانتَ طيب يا حبيبي!

ثم وضعت قبلةً على خده الأيمن فاستيقظَ ليجد نفسه، عادت لتبتسمَ ابتسامة أزاحت ذلك الكابوس المتكرر، ففي كل مرة ينام فيها كان يجد نفسه تعيش في ذات الكابوس، حتى ظهرت عليه الهواجس والقلق في حياته، أمالَ رأسه تجاهها ونكشَ شعره بيده، متخذًا قسطًا وفيرًا من الهواء وزفره، رأى ملامحها فابتسمت روحه، وردَّ في صوتٍ هادئ يتملكه السرور:

- وإنتِ طيبة!

ثم بدأ يتظاهر بالنسيان مداعبًا إياها قائلًا:

- بس أنا عيد ميلادي لسه فاضل له عشرين يوم!

لتنظر في عينيه بعند الأطفال ويبدأ وجهها بالاحمرار، فقالت:

- لأ! أصل أنا اتلغبطت وافتكرته عيد ميلادك، معلش بقى نسيت!

وقامت من جلستها خارجةً من الغرفة، فأمسك هو بيدها الصغيرة وضغط عليها وقال:

- كل سنة وإنتِ الجميل في حياتي، كل سنة وإنتِ أنا، كل سنة وإنتِ جنبي يا أحلى حاجة حصلت لي وبتحصل لي!

ابتسمت له وقالت في سعادةٍ وخجل:

- بحبك يا ...

لم يُعطها الفرصة لأن تكمل، فأسكنها بين راحتيه وضم رأسها إليه بشدة ليرسم قبلةً على جبينها، غمرته السعادة وكاد أن ينسى ما قضى الليل بأكمله يجهزه لها، هي مَن خلقها الله لتعيد له ما سلب منه، أمسكَ بخصلةٍ من خصل شعرها الناعم ووضعها على شاربه وشرع يغازلها، وحينها تذكر ما قد جهزه، لم يستطع قط أن يُجبر عينيه على عدم التعمق في عينيها، فقال في استسلامٍ من أمره:

- افتحي كده المكتبة.

فنظرت له نظرةً تباغتها الحيرة والتساؤلات، فكرر عليها مبتسمًا قوله: "افتحي"، لتفتحَ وتجد الروايات التي كانت تخطط لشرائها وقد أحاطتها قطع الشوكولاتة من كل جانب، غمرتها الفرحة تملأ محياها قائلة له:

- إنتَ حلو قوي، حلو لدرجة اللاوصف!

روت كلماتها كل ما فيه من روح، فقال في صوتٍ خافتٍ يكاد لا يسمعه سواها:

- ربنا يخليكي ليا.

قالها وهو لا يملكُ شيئًا من الكلمات يستطيع أن يشكرها بها، يريد أن يسدي لها حقها لما أعطته، فقد أفنَت فيه كل قبيح وعوضته بها، أن تشعر بالامتلاك لمن امتلكك، أن تعيش في كنفِ من اختاره قلبك، أن يُقدَّر لك ما أردت، رغم كل تلك السعادة، إلا أن الدنيا ليست بجنةٍ مثالية، فلم تخلُ حياتهما من بعض الخلافات، وخاصة في الآونة الأخيرة، إلا أنه كان حريصًا جدًا على عدم إظهار ما بداخله من ضيق وكبت، فلم يكن يريد لها أن تشعر بالهم، دائمًا ما يكون هناك ابتلاءاتٌ واختباراتٌ من الله لنا،

ولا يوجد كمال للحياة دون أن تحاول تدميرك، لن تصل إلى الجنة فيها دون أن تشقى، لذا فقد وجبَ عليك الصمود، لا تستسلم إلا عندما تصعد الروح لخالقها.

علمَ أنه سيدرك الجنة يومًا ما، سيدركها هي، لم يتركها ولم يجبرها على أي أمر، فقد كان وجودها بالنسبة له بالدنيا وما فيها، ولكنه كان دائمَ الشعور بأن شيئًا ما ينقصه!

الفصل الثاني

إن لم يرُق لك هذا العالم فاصنع أنت عالمك الخاص..

كانت الساعة قد قاربت على السابعة مساءً، أخذ هاتفه يرن مرةً تلو الأخرى، ولكن كان وضع "الهزاز" مفعل على الهاتف، فإذا بالهاتف يقعُ من على الكومود إثر هزاته المتتالية، فلاحظه وأمسك به ناظرًا إلى الشاشة، ووجد أن المتصل هو (أحمد)، فضغط على زر الرد ليجيبه:

- ألو، إيه يا ابني؟!

- إنتَ مبتردش ليه؟ بقالي ساعة باتصل بيك!

- التليفون كان صامت.

- طب تمام، انزل قابلني في كافتيريا النادي علشان عاوزك.

ليصمت للحظة، ثم رد متلاشيًا ما كان ينوي عمله ويرتب له:

- حاضر! ربع ساعة وأجيلك.

لتتعالى ضحكات (أحمد) ويقول:

- يبقى جاي كمان ساعة، هستناك بس انجز ياض!

بادله الضحك ثم أنهى المكالمة معه، وأعاد الكتاب للمكتبة الصغيرة في غرفته، والتي يفترض بها أن تكون لكتب الدراسة، ولكنه فضَّل أن يجعلها للروايات التي يقتنيها، ويحتفظ بالكتب

الدراسية في الدولاب، بدأ في تبديل ملابسه وتمشيط شعره، وجهز حقيبته بالمشط وسماعات الأذن وقلم وأجندة كبيرة وبعض الكتيبات الدينية الصغيرة التي بها بعض الأذكار، والتي اعتاد الخروج حاملًا إياها، فهو يعتبرها خير عتادٍ للعالم الخارجي.

خرج من غرفته نحو أمه ليخبرها بنزوله للجلوس مع (أحمد) أحمد)أ، والذي تغيَّب عنه بضعة أيام على غير العادة، فإن (أحمد) هو الصديق الأقرب له والذي لطالما كان يجد الراحة في الجلوس معه، حتى النصائح التي يُوجهها له دائمًا كان دائم الإنصات له فيها، على الرغم من علمه بكل تلك النصائح بل يكادُ يحفظها، ولكنه فقط كان يحب سماع أي شيءٍ يتردد عن الأمل حتى وإن لم يجده في حياته، (أحمد) صاحب بشرة تشبه في لونها حبات القمح، ويمتلك جسدًا ممتلئًا قليلًا نسبةً إلى (نور)، وهو أيضًا في نفس عمره، مما جعله رفيق دربه، رغم أنه قد اختار الدراسة في القسم الأدبي على عكس (نور) الذي كان يدرس في القسم العلمي "فرع الرياضيات"، ولكن الدراسة في مرحلة الثانوية العامة

كانت كثيرًا ما تشغلها عن رؤية بعضها البعض، وجد أمه تشاهد التلفاز فقال في نبرةٍ متراخية:

- أنا نازل أقعد مع (أحمد) شوية، هه؟!

لتنتبه له وتبدأ في سرد الأسئلة التي باتت وكأنها مُقرَّرةٌ عليه كلما أراد النزول:

- وهتقعدوا فين؟

ليرد في ابتسامة ويقول:

- في كافتيريا النادي، وهاجي على حوالي الساعة عشرة.

لم يسلم من العتاب كالعادة، فقالت له:

- تلات ساعات كتير قوي! وبعدين احنا في الشتا يعني عشرة دي الناس بتبقى ملمومة في بيوتها.

لم تذهب روح الابتسامة من وجهه وقال محاولًا إقناعها:

- بقالي فترة مبقعدش معاه، وبعدين عقبال ما أروح له فيها تلت أو نص ساعة، ومتقلقيش من ناحية الجو وكده، أنا بمجرد ما ألاقي الناس اتلمت في بيوتها هاجي على طول.

نظر لها وكأنه صغيرها الذي عهدته، تراه كل يوم يكبر ويحمل الضيم على نفسه، فقالت مقدرةً له:

- انزل.

ونظرت نحوه وهو يغلق الباب خارجًا، نظرةً تحنُّ فيها لذكريات الطفولة الخاصة به ومُشفقةً عليه من الحال التي وصل لها.

***

أوشكت عقارب الساعة على الثامنة إلا ثلث، فهذه الطُّرق التي يسلكها هي الأبعد عن وجهته، كان قد اختارها متعمدًا لتلك العادة، دخل الكافتيريا وهو ينظر للجالسين باحثًا عن صديقه ناسيًا للطاولة المختارة منه في كل مرة، حتى وجدها لترتسم على وجهه ابتسامة، فذهب له وسحب كرسيًا ورد له (أحمد) الابتسامة بعينيه، ثم بدأ بالكلام:

- إيه يا معلم يا اللي مبتسألش، عامل إيه؟

ضحك (نور) وربَّت على كتفه وقال:

- هو احنا برضه بتوع الأسئلة الفارغة دي؟! ما احنا دايمًا على أي حال بنقول كويسين مع إننا بنبقى كدابين قوي واحنا بنقولها، سيبك يا صاحبي من المجاملات دي، وحشتني ياض.

- ليرد عليه بالكلمتين اللتين أمسكَ عن قولهما حتى آخر حرفٍ تلفَّظه، وكان قد اتكأ بخده الأيمن على يده بعد أن طال سكوت (نور) فقال:

- لسه بتفكر فيها؟

لينتبه له مستفيقًا من سهوته، حاول ألا يملأ جلستهما بثاني أكسيد الكآبة المنبعث دومًا عند حديثه عنها، فتابع بضحكٍ متوالٍ قائلًا:

- هي مين دي؟! مش لما ألاقيها الأول!

- فجزَّ (أحمد) على أسنانه وهو يبتسم قائلًا:

- إنتَ عارف أنا قاصد مين، وعارف أوي كمان! إلا صحيح مش هتسميها بقى؟

أمالَ (نور) رأسه نحو الأرض ثم رفعها مرة أخرى وقال:

- لما تيجي هي اللي هتسمي نفسها.

قالها وكأنها طفلته الملائكية التي ينتظر وصولها إلى الدنيا، تطلع له (أحمد) وشعر بأنها كسلسةٍ حديدية قُيد بها ولا يعلم من صاحبها، حاول أن يتلاشى الموضوع، فقال عن قصدٍ لعدم الاستمرار في الحديث:

- هتشرب إيه قبل ما يطردونا من المكان؟

رد في حنينٍ لكوبه الصغير الساخن:

- قهوة، ومضبوطة طبعًا.

فطلب لهما القهوة والسحلب الذي يحبه، وانغمسا في الحديث عن الدراسة وصعوبة هذه المادة وسهولة تلك، حتى قُضي الوقت وقام كلًا منهما إلى بيته، وبعد أن تبادلا السلام المعتاد وافترقا، تذكرَ (نور) بأنه كان يريد أن يخبره بما هو مقبلٌ على فعله، فظل يفكرُ حتى وصل إلى البيت في تهيئة عقله الباطن ومحاولة إرضاء عقله الواعي بتقبُّل الأمر إلى أن يسافر إلى ذلك العالم بأسرع وقت.

دخل بسلام إلى البيت ودون أي توبيخ هذه المرة، يبدو أن وصوله المبكر له أثرٌ طيب على الأجواء، فرَّ لغرفته سريعًا وأطفأ أنوارها

محاولًا الاسترخاء والنوم، مذكِّرًا عقله بما عليه فعله والتركيز على إدراكه للحلم وهو بداخله، أغمض عينيه مكررًا أربع جمل: "سأدركُ حلمي"، "سأدرك حلمي"، "سأدرك حلمي"، "سأدركها هي!"، ثم راح في سباتٍ عميق واختفت الإضاءة المنبعثة من تحت الباب من أمام عينيه، اختفى كل شيءٍ بعد آخر شهيق أحسَّ به، حتى وجد نفسه يفتح عينيه وقد تسللت الشمسُ إلى غرفته، وضع يده على وجهه ليُفيق نفسه ثم أبعدها عنه تدريجيًا ونظر لكفِّه فوجد الخطوط لا تزال عليها، فأدرك أنه لم يحلم، وأنه فشل أيضًا في هذه المرة.

تلفت لساعة الهاتف فكانت العاشرة صباحًا، أي تبقى ما يزيد عن الساعة والربع على درس "الميكانيكا"، اعتدل من نومه وقام ليتجهَّز للدرس أو "للمحاضرة" كما يسميها الأستاذة، غسل وجهه وتمشط ثم وضع يديه الاثنتين على ذقنه السوداء اللامعة، وأثقل عليها فأسقطت بضع قطرات الماء المتشبثة بها وصلَّى صلاة الصبح، بيد أن الصبح والظهر هما الصلاتان الوحيدتان اللتان

يحرص عليها، أخذ حقيبته ومضى في طريقه بعد أن أخبر أمه بذهابه وأوصد الباب، نزل السلم ليبدأ وتيرة الملل والكبت.

***

..٢٠٢٢

- هو إنتَ زهقت مني؟!

قالتها وهي تنظر له بطرف عينها بغصَّة، فإذا به يترك قلمه ويغلق ما كان يكتب ناظرًا لها بحدة بعد أن رفع النظارة عن عينيه، فقال في نبرة استفزازية مرحة:

- إنتِ اللي زهقتي مني وبتجبيها فيا.

احمرَّ وجهها كطفلة تستشيطُ غضبًا، وقالت في عنفِ الاسفنجة:

- احنا من ساعة متجوزنا وإنتَ مبقتش زي زمان، معاملتك وطريقتك معايا بقت جافة، مبقتش أحس بإني مهمة زي زمان غير في المناسبات.

ظهرت ابتسامة صغيرة على وجهه، ثم رفعَ حاجبيه معلقًا عينيه بها وقال:

- في شوية ضغوطات عليا هي اللي جدت في الموضوع، وأنا مضغوط كده من قبل جوازنا بتلات شهور لما اتعينت وابتدت من ساعتها الضغوطات، بقيت مشغول عنك وبيكي، مش عاوزك تزهقي مني وحتى الأجازات والمناسبات بحاول أخطط لها قبليها بشكل جديد، شكل ميخلكيش تزهقي أو تملي مني، بحاول أعمل أي حاجة تبقى جميلة في حياتك.

زادت حمرة وجهها وأحست قليلًا بالذنب، فقالت:

- إنتَ مش محتاج تفكر كده، لأنك مش هتلاقي حاجة أجمل منك تدهالي.

ثم شعرت بالخجل وجزَّت على شفتيها، أرادت أن تغير الموضوع في جزء صغير من الثانية، فإذا بها تقذف بوسادةٍ عليه وتعلو ضحكاتها المرصَّعة بالسكر، وتقول:

- فاهم يا عبيط إنتَ!

فقام من مكانه وجلس بجوارها، أحاط بها بذراعه اليمنى فألقت برأسها عليه، ثم اقترب من مسماعها وهمس لها:

- بحبك!

ولكن سرعان ما رنَّ جرس الباب فهبت هي من مكانها، فكانت كالمُنتظرة لأي فرصة تهرب بها من هذا اللهيب فزال خسوف وجهها عنه، فتحت الباب لتجدَ حماتها قد أتت، فتبادلتا القبلات والابتسامات وأمالت رأسها سامحةً لها بالدخول، فدخلت حيث استقبالها ابنها بأسلوب وطريقة لا تقل عن زوجته ولا تزيد سوى في تقبيلِ يد أمه، جلس ثلاثتهم في غرفة الاستقبال، وبدأت الأم في الاطمئنان على ابنها الذي مهما كبُر فستظل تراه ذاك الطفل الصغير الذي يحتاج رعايتها واهتمامها ونصائحها التي لا تكفُّ عنها، قالت في لطف صوتٍ لا يزال ينهج بعض النهَجات الصغيرة:

- عاملين إيه يا ولاد؟

فردَّا في نفَسٍ واحد:

- الحمد لله يا ماما.

ثم نظرا لبعضهما البعض وتبادلا الضحكات، فنظرت إليهما الأم وقالت:

- ما شاء الله! نصيبكم حلو يا عيال.

فعاودت هي الابتسام وقالت:

- أنا فعلًا نصيبي حلو!

ثم نظرت له بطرف عينها وأرادت أن تقول له: "إنتَ جنتي"، ولكنها كتمتها سرًا في نفسها، ففي الإفصاح عن مشاعرها تجاهه هي تفضل بأن تجعلها بقلبها، أحيانًا لا تعترف الألسنة بما هو أكبر من أن يُقال.

قامت لتذهب إلى المطبخ لتحضر مشروبًا للزائرة، وبدأت الأجواء تتقلب، أخفت أمه وأغضَّت من صوتها وقالت:

- مش ناويين تجيبولي عيل قبل ما أموت؟

وضع يده على جبهته، وأمالها إلى الأسفل حتى تخطت ذقنه، وقال في يأس:

- ربنا مش رايد! الدكاترة قالوا لي كده.

ظهرت على وجهها صدمة الخبر، فقالت:

- يعني إيه يا بني؟!

تطلع إلى الأرض في كمدٍ شديد، وقال لها بصوتٍ متراخٍ منخفض وفي نبرة تملؤها الدموع:

- يعني ربنا مش رايد يا أمي، هفضل طول عمري كده، أنا بحاول أخبي عليها، مش عاوز روحها تتكسر، مش عاوزها ترجع تاني تمو...

دخلت هي، فغيَّر مجرى الكلام فورًا، حاول رسم الضحك بعد أن ظهرت على عينيه غمائم الدموع، فقال:

- تموت من الضحك!

وأتبعها بالضحك، فحاولت أمه أن تتصنع الضحك هي الأخرى، لم تبالِ الزوجة واكتفت بوضع الصينية على المنضدة التي كان عليها ثلاثة أكواب من عصير الفراولة وطبعًا معبأةً بالفواكه، شربت الأم رشفة صغيرة من العصير وقامت من مكانها، فقالت لها الزوجة:

- هو العصير معجبكيش ولا إيه يا ماما؟!

فردت هي في ثبات مدعية الاستعجال لقضاء أمرٍ ما، وقالت:

- لا، حلو يا حبيبتي تسلم إيديكِ، بس أنا افتكرت كام حاجة كده ورايا لازم أعملها.

ثم تحركت ولوَّحت بيديها وقالت:

- يلا، أسيبكم أنا.

وبعد محاولاتٍ سريعة باءت بالفشل ليُجلساها، رحلت عن البيت مخلفةً وراءها حزنًا بجوفه، ما برح هو أن ارتاح قليلًا من حمل ذلك الثقل حتى زادته عليه الضعفين.

سألته هي بدورها عن أسباب رحيلها، فادعى الإنكار مؤكدًا أن وراءها بعض الأعمال فعلًا، وما هي إلا ثوانٍ وبدأت تأثيرات الدمار النفسي تتضح، حينما قالت:

- عملت لك أكلة هتجوعني وتجوعك بمجرد ما تعرف هي إيه، لو قلت لي إيه هي هزود نايبك.

فرد بصخب:

- مش عاوز أعرف!

ظهر عليها الضيق من أسلوب الرد، وقالت في نفس لهجته:

- طب إن شا الله عنك ما عرفت، براحتك!

ثم تصنعت عدم الاهتمام وأنها صاحبة دم بارد، وقالت:

- امممم! ولا أقول لك، مفيش أصلًا أكل.

تنرفز هو وتعصَّب، كان يريد أن يبكي ويرتمي في حضنها، أن يشكي لها ما ابتُلِي به مثل كل مرة، لكن الكبت أصبح أمرًا واجب التنفيذ، قام وتركها ذاهبًا لغرفة النوم، ليس ليستريح بل ليتعب وحده، دون أن يُشعِر أحدًا، لا يعلم ولا يملك خطة لكيفية قضاء العمر هكذا على نفس الحال، لم يعلم سوى أنه لن يكمل هذه الحياة دون روح، لن يكمل الحياة دونها، حتى وإن امتلك الجنة في عينيها فسيظل مقيدًا حتى يصبح من الخالدين.

***

عاد الليل وهو يحمل في طياته البرودة، انتهى للتو من المذاكرة وقرر أن يُبكر وقت نومه لمحاولة الهروب الكبير، أخذ يكتب على ورقة كبيرة بقلم من الحبر الأسود: "سأحلُم، وسأدرك بكامل وعيي، سأستيقظ في حلمي فأنا أؤمن بذلك"، ثم أراحَ جسده على السرير وحاول أن يُخلي عقله من أية أفكارٍ مُشتِّتة له، حاول ألا يكرر خطأ المرة الفائتة، أغمض عينيه وأخذ نفسًا عميقًا ثم أخرجه، وإذا بالأيام تمُر وتتطاير أوراق التقويم حتى وصلت إلى يوم الاثنين في التاسع والعشرين من نوفمبر، ذلك اليوم الذي

بدأت فيه أحلامه تتكشَّف، وما لبث إلا وفُتح الستار عن هذا العالم، عالمهُ هو، فبدأ يفتح عينيه عليه، ولأول مرةٍ وبعد العديد من المحاولات يعي حلمَه، أبصرَت روحه المُعلَّقة أن هذه الصحراء التي خطى فيها الكثير تعد سرابًا ووهمًا مُبتذلًا من عقله الباطن، أدركها بالفعل وعلم أنه يحلم، فتخيل نفسه يطير محلقًا في عنان السماء، وما هي إلا لحظات وأفاق من النوم، استيقظ وقد تصبب وجهه عرقًا، نظر إلى المنبه ثم إلى يديه ليتأكد من إفاقته، فتبين، وقام ليبحث عن أي شيء يدونُ فيه ما حدث حتى لا يفقد ما وصل إليه، وحتى لا يقف عند هذه النقطة ويبدأ في المجازفة والوصول لباقي النقاط، دوَّن حتى فرِغ، ثم سمع أذان صلاة الفجر فقام واستعد وقرر أن يصليه في المسجد.

خرج من البيت إلى المسجد وصلى فيه ركعتين، انحنى راكعًا وساجدًا فصعدت روحه إلى السماء واجتنت بعضًا من سُبل الراحة والسلام النفسي العجيب التي منحه الله إياها بمجرد الصلاة، فالصلاة هي للإنسان كشاحن الطاقة الإيجابية.

أخذ راحة وافرة مما ساعده على الصعود إلى مسكنه مرة أخرى والحصول على سهرة هادئة لكتابة بعض الشعر، لم يكن يعلم لمن يكتب، ولكنه كان ذا يقينٍ بوجودها يوميًا بحياته.؟أأاااا

شقَّت بعض خيوط النهار السماء، كان جالسًا في الشرفة مُتأملًا لها ولتلك البعيدة مجهولة الهوية، وما إن طلعت الشمس إلا وغطَّ هو في النوم مغلوبًا على أمره، لم ينَم سوى دقيقة واحدة نسبةً لما كان يحتاج، أيقظه أخوه (عمر) بعد معاناة، وكان صوت أذان العصر يتبع صوت (عمر) وهو يقول:

- كلم ماما، كلم ماما، كلم ماما!

ظل يكررها ويهزُه، حتى اندفع من على السرير وهو يقول:

- حاضر يا عم!

خرج من غرفته إلى الحمام وغسل وجهه، فوجد أمه تطلب منه بعض الأمور، وقالت في صوتٍ حازم:

- اصحى بقى علشان في شوية طلبات عاوزاها منك قبل ما تروح الدرس.

فأجابها مومئًا رأسه بالقبول، استعد ونزل يقضي لها ما تحتاج على عجلةٍ من أمره، أتمَّ المهمة وأنجزها ثم أحضر حقيبته وذهب ليحضر محاضرة الكيمياء، ولم ينسَ أن يضع سماعات الأذن مستمعًا للموسيقى حتى وصل للقاعة، دخل إلى هذا المجتمع الصغير الذي يحمل بعص الأشكال المتكاثرة، فهؤلاء الصبية يتظاهرون ويرتسمون لإبراز شخصياتهم لهؤلاء الفتيات، والفتيات يتكبَّرن على بعضهن لإبراز شخصياتهن بشكلٍ أنثوي، كلًا منهم يريد أن يقضي فترة المراهقة الخاصة به على طريقته الخاصة ولكن للوصول إلى نفس الغاية، وكالعادة لم يسلم سوى القليل من هذا العبث، لم يسلم إلا من رحمه الله!

تعالى الصخب الصادر قبل المحاضرة وتطفل المتطفلون بعاداتهم، فهم يدعون أنفسهم أصدقاء، بدأ واحد منهم يظهر ويلوح في الأجواء، فنزع (نور) الطرف الأيسر للسماعة ليستقبل سؤاله الذي قاله في عشم:

- بتسمع إيه يا درش؟

فأجابه في ضيق قائلًا:

- أولًا ما اسميش مصطفى علشان تقولي يا درش، وثانيًا بقى وده الأهم ...

نزع السماعات كاملة من أذنيه ومسحها في ملابسه ليكمل:

- ملكش دعوة أنا بسمع إيه!

كانت فرصة جيدة لهذا المتطفل لأن يقوم باستعراض نفسه، فتلك البضاعة التي يملكها لم تشتريها منه فتاة بعد، ضرب بيده على كتفه كنوعٍ من أنواع الترهيب، وقال في حدة:

- طب بالراحة شوية على نفسك!

وما هي إلا ثوانٍ ودخل الأستاذ إلى القاعة ليبتعد هو، كان هذا الموقف كفيلًا بقلب مزاجه وتشتيته أسبوعًا بأكمله، لم يكن في كل مرة يُساق به إلى مثل تلك المواقف إلا وكان التردد حليف فكره، فالضعف عادة، والجبن فكرة، لم يكن يحب أن يختلط بالكثير بسبب هذه الأمور، فهو لا يفضل أن يتدخل في شجارٍ قد يطول بعض الوقت وقد تحدث به بعض المشاكل النفسية والجسدية، بل كان فقط جلُّ ما يطلبه هو الهدوء، القليل من القهوة، مع سماعات الأذن وبعض من الروايات.

تشتت فكره عن المحاضرة، وحصل له من الضيق ما حصل حتى يجيب دماغه على العديد من الأسئلة المختلفة دون حل، افترسه التعب والإرهاق حتى انتهت المحاضرة وخرج منها ليتجول في الشوارع الليلية، اتصل بـــــ(أحمد) هاتفيًا، فسمع ذلك الرنين الرتيب حتى أجابه وقال:

- ألو! إيه يا أبو الصحاب؟

فضحك (نور) ثم قال في شح:

- كنت عاوز ألحق أقول لك على حاجة مهمة علشان الرصيد قرب يخلص.

فرد وقال:

- اتكلم أنا معاك.

فقال له في هدوء:

- عرفت أوصل للراحة والمكان اللي هيسعني.

فرد بشغفٍ ونبرة يملؤها الفضول:

- اللي هو إيه؟ وفين؟!

فروى له تجربته مع ذلك الكتاب وكيف عزم على تنفيذ الأمر حتى بدأ يُدركه، ووصف له ما وصل إليه، فظهر القلق على صوت (أحمد) وهو يقول:

- إنتَ متأكد من الحكاية دي؟!

فقال له بتعجب:

- اشمعنى بتقول كده؟

فبدأ يقول له في لهجةٍ شديدة:

- اللي إنتَ بتقوله ده أنا مسمعتوش ولا عرفته غير في حالة واحدة!

فقال له في انتظار:

- اللي هي إيه؟

فأكمل بنفس النبرة وقال:

- الإسقاط النجمي يا نور!

فشُبِّه له ذلك الاسم وقال:

- مش غريب عليا، بس يعني إيه؟!

فأجابه بنبرة متزايدة الصوت:

- يعني نفس اللي إنتَ قولتهولي ده، بفرق إنك هتستخدم كام شمعة وممكن كرسي هزاز كمان، الإسقاط النجمي يعني حالة خروج الروح من الجسم، وباختصار شديد ساعتها ممكن جن يسيطر على جسمك ومتعرفش ترجع!

فرد بسخرية:

- روايات الرعب دي قربت تاكل دماغك، لو الطريقة اللي بتقول عليها هي نفس الفكرة دي، كان زمان غالبية اللي بيحلموا بيتلبسوا!

فأجابه في حيرة:

- ممكن! أنا بس لقيتهم يشبهوا لبعض، فخوفت عليك يعني.

فشكره (نور) ثم قال:

- سلام إنتَ بقى علشان التليفون بيصفر، يبقى هيخلص.

فرد عليه السلام وأنهيا المكالمة، وعاد للتأمل في الشوارع ليحرر ما حُبس فيه من كبت، فهو لم يرتَح للكلام مع (أحمد) سوى راحة مؤقتة انتهت فور الحديث، فقد بدأ يجد النار في نفسه تهُب مرة واحدة ويصبح وقودها تصرفات الناس، فذاك السخيف في نهاية

الشارع يربط عصفورًا من قدميه بشيء أشبه بالخيط وأخذ يتقاذفه ويجري ويلعب به مثلما الطائرة الورقية وقد تلوَّن وجهه بالابتسامات الشيطانية، ولم يزده في تماديه باللعب هكذا غير أصدقائه الذين تكاثرت ضحكاتهم بشكلٍ همجي، لم ينطق أحد من الناس ولم يحاولوا حتى منعه أو يقولوا له مثلًا: "أنتَ تعذبه، وهذا حرام!"، بل خاف الجميع من الدخول في المشاكل مع هذا الهمجي، وفضلوا السكوت وعدم الاكتراث، تخلوا عن هذا العصفور الصغير الذي تعالت صرخاته، فقرر (نور) الذهاب والرجوع للبيت، فهو لم يجد مفرًا في الشوارع، بل وجد العفن وقد امتزج بآخر ثمار الخير الخضراء.

رجع إلى البيت، دخل غرفته ممثلًا المذاكرة التي لم تحدث أبدًا، فكر كثيرًا حتى أصابه الصداع النصفي فتوقف، وحين قام ليفتح باب الغرفة وجد أمه قد حضَّرت له الطعام وأتت لتقدمه له، حاول أن يُرضيها بصوتٍ لين فقال:

- شكرًا يا أمي!

وقبَّل يديها، فهو يعلم أنها بذلت الكثير من الجهد معه في الفترة الأخيرة، ويشعر بالذنب لأنه يُخطئ في حقها، قبلت هي رأسه وهي تحاول أن تواري دموعها وقالت:

- ربنا يخليك ليا يا نور! صلي وذاكر يا حبيبي وإن شاء الله كل حاجة هتبقى تمام.

- حاضر يا أمي!

قالها في محاولة إرضاءٍ لها، فنظرت له وخرجت، تناول هو طعامه وسيطر عليه الخمول فلم يُكمل المذاكرة وأطفأ النور، ثم ذهب لفراشه بعد أن اطلع على ما كتبه بالأمس، وتأمل في ذاته، بدأ بنفس الخطوات ولكن تعمد أن يُذكر نفسه بأن يُطيل في هذة المرة، وبدأ يغطُّ في نومٍ عميق إثر تعبه وعدم شبعه من النوم، فتح عينيه فوجد نفسه يجلس على أريكة انتظار، نظر لرقم سيارةٍ كانت مصطفَّة في الجهة الأخرى ليجد أرقامها تتغير، وبسط ذراعه أمامه وبدأ يُقلب كفيه وهو ناظر لهما وعيناه مُتسعتان، لم يجد الخطوط في هذه المرة، فظهرت ابتسامة صغيرة على ملامحه وقال في صوتٍ قد تميز بالابتهاج: "أنا بحلم!"، كررها مرتين

في عدم استيعاب لما قد وصل إليه، وأثناء شروده وجد رجلًا من أبناء الثلاثين، أبيض اللون وقد أخفى شعره بقبعةٍ سوداء فلم تكن عيناه واضحتين، ولكنه كان صاحب جسد عريض قليلًا، مدَّ له يده نظرًا له عن كثب، فقال له (نور) في هلع:

- إنتَ مين؟!

فبسط يده أكثر وقربها منه وقال في خفوت:

- كانديلا!

اتسعت عيناه أكثر وبدأ يتملكه التوتر والقلق، فقام من جلسته ووقف ليقول:

- كانديلا مين؟ هو الحلم ده كابوس ولا إيه؟!

ارتفعت وجنتاه وانكمش حاجباه وابتسم قائلًا:

- مش مهم تعرف أنا مين، بس تقدر تعتبرني الطريق اللي هيوصلك للي إنتَ عاوزه، أو ليـها بمعنى أدق يا صديقي، متخافش!

قالها وهو يربت على كتف (نور) ويبتسم، فنظر له (نور) في اضطراب، وقال:

- تقصد مين؟!

فأدار له ظهره وأشعل سيجارةً وأخذ منها نفسًا، ثم رفع رأسه ونفخ دخانًا كثيفًا وحرك يده اليمنى التي تحمل السيجارة، وقال:

- تؤ تؤ! ما إنتَ عارف كويس، مش محتاج إجابة، اللي جابتك هنا يا نون!

دعك عينيه غير مصدقٍ لما يحدث، وقال في دهشة:

- إنتَ عرفت اللي بتقوله ده منين؟!

وسكت للحظة، ضرب كفه جبهته في حركةٍ لا إرادية، وقال في تراجعٍ متابعًا لكلامه:

- صح نسيت! إنتَ في حلمي فطبيعي تبقى عارف كل ده!

فهز له رأسه بالإيجاب وقال له:

- هنا المكان الأنسب اللي تقدر تهرب له في الوقت اللي إنتَ عاوزه، بدون قيود وبدون تطفل، هنا المكان اللي تقدر تعمل فيه كل الحاجات اللي كنت عاجز عن فعلها في الواقع، هتلاقي أي حاجة كانت ضايعة منك، تقدر تقول كده إن ده العالم اللامحدود الخاص بيك.

ظهر على وجهه أنه قد بدأ يعجبه الأمر، أمر هذا الغريب، ولكن تذكر أن الكتاب لم يأتِ بأي سيرة عنه، بل كان مضمونه أنه سيقضي كل أحلامه في عالمٍ وهمي لا يعرف حقيقته إلا هو، فكيف له أن يعرف؟! ليقول في تساؤل:

- وإنتَ إيه سبب وجودك لما أنا هعمل كل ده لوحدي؟!

فأشار له بإصبع سبابته، وقال:

- إنتَ لسه منضجتش فكريًّا للدرجة اللي متوهكش في عالم كبير زي ده، الوقعة هنا بفورة! وأنا هنا السبيل الوحيد للوصول لكل اللي إنتَ عايزه.

ثم نظر للسماء، وتابع:

- الوقت اتأخر، وإنتَ هتمشي دلوقتي، سلام!

فقال (نور) في سرعة:

- طب وأنا هوصلك ازاي تاني؟

فأجابه:

- أنا هلاقيك!

فلم يشعر بشيء إلا بعينيه وقد تأذَّتا من ضوء الشمس، يبدو أن أحدهم قد فتح باب الشرفة، قام من مكانه وكان جسمه متخدلًا، توضأ وصلى الصبح والظهر، وبدأ تسلسل يومه الاعتيادي.

***

..٢٠٢٢

شرعت الخلافات في الازدياد، العائلة، الزوجة ونفسُه، لم يتنازل أحدهم عن دوره في تدمير كل أبنية الذكريات الجميلة وخلخلتها بأفعاله، لم يترك أحد فرصة لروحه لكي تستريح، انهالت الأحاديث عليه كالضرب المبرح، الكل كان سببًا في تغيُّره في الوقت الذي كانوا يتهمونه فيه بالتغير معهم، قاطعت هي شجنه وقالت:

- أمك كانت بتسألني من أسبوع كده تقريبًا عن الأخبار، نفسها في نونو صغير.

اضطرب ثم عاد ورَدَّ بثقة زائفة:

- لا! ما أنا معتقدش إنها هتسأل تاني.

فقالت في تعجب:

- اشمعنى؟!

فأجابها بحدة:

- فهمتها إننا مش عاوزين عيال دلوقتي، وإننا هنأجل الموضوع شويتين.

فنظرت له وعقدت حاجبيها وقالت:

- بس أنا عاوزه! منكرش إن في أول جوازنا مكنتش عاوزه، بس أنا طمعت فيك، وعاوزه يبقالي حاجة منك أقعد أبص لها وأتوه وإنتَ في الشغل.

كعادته حاول مراوغتها في الحديث وقال في برود:

- وافرضي جبناها بنت شبهك، هتقعدي تبصي لنفسك وأنا مش موجود؟!

سكتت للحظة، ثم رفعت خدها الأيسر في إشارةٍ منها لسخافته وقالت:

- دي حاجة بتاعة ربنا!

فقال في اشمئزاز:

- أديكِ قولتي، دي حاجة بتاعة ربنا، يبقى نستناه لما يريد.

شبكت ذراعيها وقالت في ضيق:

- إنتَ عارف من زمان وأنا مبحبش حد يتكلم معايا بالطريقة دي!

فوضع يده فوق عينيه وأمالها قليلًا، ونظر لها من تحت يديه، وقال:

- وهو أنا حد برضه؟!

فتركته وغادرت الغرفة، كان قد تعمد في مضايقتها لجعلها تنسحب من الموضوع، عندما دخلت وحين خرجت لم تلاحظ الورقة التي كان يُواريها، وقد امتلأت بالدموع على حبرٍ قد كتب فيها مواويلًا تتحاكى عنها، قام ليحضر شيئًا يأكله من المطبخ وكان الوقت الثانية صباحًا، ذهب فوجدها به، فقال لها دون أن ينظر:

- اعملي حسابي في شاي بلبن معاكِ.

فأدارت نفسها ونظرت له نظرة لوم، فتابعها هو قائلًا:

- معايا علبة بسكويت، ها!

فابتسم ابتسامة صغيرة، ذهبت هي لغرفة المعيشة وإذا بها تأتي بعد حوالي خمس دقائق وتقول له:

- إنتَ عرفت ازاي إن أنا ناوية أعمل شاي بلبن؟

فقطع ورقة صغيرة وكتب عليها: "تلكَ صغيرتي التي عهِدتُّها"، ونظر لها والصمت يتملكه، ولكن عينيه كانتا تتحدثان بما يعجز عنه لسانه، فوارت ابتسامتها ونظرت للأرض وقالت:

- فين البسكويت؟

فأجابها قائلًا:

- عُقبال ما إنتِ تجيبي المعلقة اللي هنهرس بيها البسكويت، أكون أنا جبته.

كانت ذاكرتها تُحدثها: "أيُعقل أن يتذكر بعد كل هذه السنين حُبي لعادات الأطفال تلك؟!"، ثم قامت وأتت بها وجاء هو بعلبة البسكويت، شاركها إياها وقام بهرس البسكويت في الشاي ليذوب به، ويذوب هو بها، بعد أن فقد عينيه في حرب النظر إليها، قد أسرَت بعضه البعض مرة تلو الأخرى، أسرت روحه وقلبه من زمنٍ بعيد، وتأسر له عينيه كلما تمعَّن النظر فيها، نهرًا من الخمر الحلال قد كانت، تناول كل منهما كوبه، وتسللت يده ليدها وبدأت تتحسسها وتضُم عليها رويدًا رويدًا، شُدت عروق يده عندما أمسك بيدها وضغط عليها بشدة، فذهبت

يدها اليسرى لتحرير اليمنى من قبضته عليها، فوقعت أسيرةً هي أيضًا وضمها بيده الأخرى وخسر كلا منهما المعركة، ولم يربح سوى أكواب الشاي باللبن الممتزجة بالبسكويت التي تُركت مملوءةً عن آخرها!

كل الكسور تتلاشى في لحظةٍ ما، وهي اللحظة التي تجد فيها من تحملت لأجله وأنت تُكسَر وتصرخ ألمًا وكمدًا، عندما ترى عينيه قد باتت بقُربك، حين تصمت فقط من أجل الإنصات لدقات قلبه، في كل مرة كان يصل إلى حافة الانهيار كان يهربُ إليها، فيجدها فيطمئن، تؤذيه مرة بأشواكها فيفر هربًا إلى راحتي حضنها، لا مفر منها سوى إليها، هي المُحتل والوطن، هي الروح والنبضات المتراخية التي لا يزال يعيش بها هذا الجسد.

***

- غريبة يعني! بقالك كام يوم تيجي من الدرس ومتخرجش وتنام!

قالها أبوه في تعجب، (مصطفى الحسيني) صاحب البشرة القمحية والشعر الأسود والذي نبت على جانبيه بعض الشعر

الأبيض، معتدل الطول، يعمل موظفًا لفترتين في إحدى شركات تحلية المياه، أوشك على بلوغ الخمسين.

نظر (نور) لأمه وكأنه يعرف أنها هي من تخبره، ثم رد على أبيه وقال في صوتٍ خفيض:

- مفيش، أصل زهقت شوية من الشوارع والناس وكده.

فأردف أبوه قائلًا في رِضا:

- طب يا رب تفضل زهقان منهم كده على طول وتكِن.

تماثل في (نور) في الضحك، فهو لا يظن أن أحدًا ممن يسكنون هذا البيت يفهمه، فلا أحد في العالم كله يشعُر به، لأنه وحده يمتلك مشاعره، دخل الغرفة لينام –كما يعتقدون– ويذهب إلى عالمه الذي اكتشفه حديثًا، كان قد دوَّن كل ما حدث له في أثناء أحلامه الأخيرة فقرأها حتى يتذكر، على الرغم من أنه لم ينسَ أحلام البارحة أبدًا، ولكن لعلها تنفعه، أو تكون تأشيرة دخوله لعالمه، فرغ من القراءة فذهب لسريره الذي يأويه، وأغمض عينيه مكررًا للخطوات السابقة، ثم ما هي إلا ثوانٍ وغطَّ في نومٍ عميق، "واحد، اثنان، ثلاثة"، كانت تكفي تلك اللحظات ليبدأ

في فتح عينيه، ليجد نفسه في مكانٍ أشبه بالبادية، منازلٌ بُنيَت على طراز عربي قديم للغاية، كان يتمشى في المكان عرب قدماء، كان ذلك واضحًا من ملابسهم، فقد رأى مثلها في بعض الأفلام المصرية التي كانت تتحاكى عن صلاح الدين وأمثاله، تطلع بحثًا عن ذلك المجهول الذي يُدعى (كانديلا)، والذي قال بأنه سيكون دليله في هذا العالم، تحرك للبحث عنه وتمشى بين الناس، حتى لفت نظره رجلين يتجمع حولهما الناس ويبدو أنهما يتبارزان في الشعر، توجه نحوهم ووقف بين الناس يستمع إليهم، قد شُدَّ انتباهه لأعلى درجة من روعة سردهم والقصائد الطويلة التي يلقونها، حتى قطع تركيزه شخص ما وضع يده على كتفه، وقال:

- إيه رأيك في المفاجأة يا عزيزي؟

فالتفت نحوه ليجده (كانديلا) وقد ارتدى مثل ما يرتدون، فنظر له ضاحكًا:

- إنتَ إيه اللي إنتَ لابسه ده؟!

فأجاب وهو ينظر لملابس (نور) قائلًا:

- مثلما أنتَ ترتدي، أنا أرتدي!

فنظر (نور) لنفسه فتعجب لتغير ملابسه، وحين أوشك على أن يبدأ في توجيه التساؤلات لنفسه، قاطعه (كانديلا) قائلًا:

- إنتَ في حِلم!

فهز رأسه متفهمًا وهو يضحك على نفسه، وتعجب لفهم (كانديلا) ومعرفته لما يدور في دماغه من تساؤلات، ولكنه تلاشى الأمر وسأله:

- إنتَ مال كلامك ملغبط ما بين العامية والفصحى؟

فأجابه باستهزاء:

- بطبيعة المكان اللي احنا فيه، أنا اتكلمت كده.

فتذكر وسأله:

- آه صح! احنا فين؟

فأجابه وهو يهندم السترة التي يرتديها:

- ما هي دي المفاجأة، أنا اخترت لك المكان ده بالذات علشان أساعدك في الواقع، يعني مش في الخيال بس!

فهز رأسه في عدم استيعابٍ وقال:

- ازاي هتساعدني في الواقع؟

فأجابه فورًا وكأنه كان يتوقع هذا السؤال:

- هتعرف! بس عمومًا احنا هنا في حلب القديمة، وبالتحديد في عصر تفكك الدولة العباسية، سنة ٣٣٨ هجرية، وتناثر الدويلات الإسلامية، احنا في فترة مهمة جدًا في تاريخ العرب.

بانَ على وجه (نور) الاشمئزاز من الأمر، فقال:

- أنا في علمي يا عم مش أدبي، إنتَ جايبني هنا تديني حصة تاريخ؟! إيه الحلو في كده؟!

نظر له (كانديلا) بحدة وقال:

- أكيد لأ! أنا جايبك علشان تقابل أحمد بن الحسين.

كاد أن يفتح فمه من عدم الاستيعاب، وقال له:

- وده يبقى مين؟

فأجابه:

- هتعرف كل حاجة لما تقابله.

ثم سكت، سارا قليلًا بين بعض الخيم والبيوت المبنية بالحجارة، كانت الشمس في كبد السماء حموًا، ظل يترقب كل ما لم يره من قبل، حتى وصلا إلى بلاط قصر (سيف الدولة) أمير حلب في

ذلك الوقت، انتظرا خارج القصر قليلًا حتى جاء رجل قوي البنية، رفيعًا وأسمر اللون، يرتدي عباءة زرقاء ويلفُّ شيئًا ما على رأسه، كان من الواضح عليه الراحة المالية، وكان يتمشى بفخرٍ وكِبر، مادًّا يده وقال:

- السلام عليكم ورحمة الله.

فردَّا التحية وصافحه (كانديلا)، ثم أشار بسبابته إلى (نور) وقال له:

- هذا نور الذي أخبرتكَ عنه.

فمدَّ (نور) بدوره يده وصافحه، وقال له في توتر:

- مرحبًا!

****

قبل هذا بقليل..

- أهم حاجة حاول تكلمه بالفصحى؛ لأنه مش هيفهم العامية بتاعتك، وراعي إنك من المستقبل، فمتقولش على أي حاجة غريبة أو جديدة لأن عقله مش هيفهمها.

قالها (كانديلا) في إلزامٍ على (نور)، فتفهم (نور) الأمر، وكان هذا هو سبب تحدث (نور) بالعربية الفصحى.

***

أخذهما ذاك الرجل إلى بيته، وتحدث (كانديلا) إلى (نور) أثناء انشغال الرجل بخلع خفيه، فقال في صوت أشبه بالهمس:

- متنساش اللي قولتهولك، ومتجبش سيرة أي حاجة حديثة.

فأومأ رأسه بالإيجاب، ثم جلس ثلاثتهم وقال الرجل لهم في بشاشة وجه، وخص (نور) بقوله:

- كيف تشعر الآن وقد نفذت إلى هنا؟

فأجاب (نور) بنفس وتيرة القلق:

- الأمور تسير على نحوٍ جيد بشكلٍ ما.

كان حريصًا على عدم الخطأ في كلامه، على الرغم من أنه يتقن الحديث بالعربية الفصحى، بل ويحب أن يجعلها جزءًا من كلامه العامي، وبالرغم أيضًا من إخبار (كانديلا) له بأن هذا الرجل يعرف أنه في جزءٌ من حلم أحدهم.

قال الرجل بعد تنهُّد:

- لا تكترث لتلك الحياة فإنها بالية، واعمل لجنة الله فإنها هي العالية.

ثم سكت لبرهة وقال له:

- علمتُ أنكَ تهوى القصائد وسماع وكتابة الشعر.

فأومأ (نور) رأسه بالإيجاب وهو يبتسم، فألقى عليه الرجل قصيدةً له في محاولةٍ منه للتخفيف عنه، ولإظهار قدراته في الكتابة والإلقاء ليزيد فخرًا بنفسه، رفع رأسه ونظره عاليًا وقال وجهة نظره في الحياة:

إذا غامَرْت في شَرفِ مَرُومِ ... فَلا تَقنَع بما دونَ النجومِ

فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

يرى الجبناءُ أنَّ العَجزَ عَقلٌ ... وتلكَ خديعةُ الطَّبعِ اللئيمِ

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا ... وآفَتُهُ منَ الفَهمِ السَّقيمِ

ولكن تأخُذُ الآذانُ منهُ ... على قدرِ القَرائحِ والعُلومِ

لم يكن (نور) يركز في شيءٍ سوى أول بيت، فإن هذا البيت ليس غريبًا عليه، أيعقل أن يكون هذا هو (المتنبي)؟! ضحك (كانديلا) وقال له:

- نعم، إنه المتنبي!

قالها (كانديلا) واختفى صوت ضحكاته، بل اختفى الجميع!

أفاق (نور) على صوت أمه وهي تقول:

- اصحى يا بني! إنتَ متأخر على الدرس.

كالعادة لا يكتمل أي شيء جيد في هذه الحياة السوداء، سواء استيقظ أو نام، فبالنسبة لما يعيشه باتت الحياة أبعد عن وجود الأهل، الأصدقاء أو الأقارب، وأقرب لمن لم ترهم العين حتى يحين دورهم ويـبتعدوا.

الفصل الثالث

تنخدع في التسعة والثلاثين من أشباهها، حتى تصل
لها وتكتشف ألا أحد يشبهها، لأنها استثناء..

- اصحى يا بني! إنتَ متأخر على الدرس.

لم يمُر الكثير منذ إيقاظ أمه له، حتى وقعت على الأرض، ففُزع هو من نومه وقام مهرولًا، ليجد وجهها قد تصبب عرقًا وعيناها قد أقفلتا، فحاول أن يجعلها تفيق وردد: "أمي!" في محاولةٍ فاشلةٍ منه، لم تستجب لأي نداء، استيقظ إخوته مفزوعين وأتوا بسرعة، ليجدوا ما كان كافيًا لانهيارهم والبكاء، قام يبحث عن هاتفه حتى عثر عليه، ولكنه لم يطلب رقم الإسعاف (١٢٣) لأنه يعلم مدى سرعتهم في الإسعاف لدرجة المجيء حين دفنة المريض، فأظهر رقمًا لمستشفى خاص كان قد سجله من فترة احتسابًا لمثل هذه الطوارئ، أعطاهم العنوان وما هي إلا دقائق لم تتخطَّ الساعة وأتت السيارة ونقلوا إليها أمه، بعد أن أجرى العديد من الاتصالات والتي كان أبرزها لخاله وأبيه.

ذهب إلى المستشفى وتوالى وصول الأقارب، كان يحاول التماسك، فلا رجل غيره كان موجودًا ليتحمل صعوبة الموقف ويتصرف، هزَّ القلق على وجهه بطريقةٍ لا إرادية، حتى طمأنهم الطبيب – مع أن الخبر لا يصحابه أي اطمئنان – وقال:

- غيبوبة سكر شديدة شوية!

كان الخبر صادمًا بالنسبة له ولبعض أقاربه الموجودين، لم يعرف هل يفرح لأن أمه لا تزال معه، أم يحزن لهولِ الخبر، فسكت قليلًا حتى سأل أبوه الطبيب قائلًا:

- طب هي هتقدر تروح معانا النهارده يا دكتور؟

فأجابه بضرورة التروِّي قليلًا حتى الغد كي يطمئنوا عليها، فهز رأسه متفهمًا، تركهم (نور) في هذا الوقت وخرج من المستشفى متوجهًا لأقرب مسجد حتى يصلي ويسأل الله أن يفُك عنهم هذا الكرب، والذي حل فجأةً دون سابق إنذار، قد امتلأت دماغه بالعديد من الأفكار المختلفة المتشابكة مما أدى لشعوره بالصداع النصفي، انتهى من الوضوء وبدأ الصلاة، ومع أول سجدةٍ مرت الأفكار مرور الكرام، أحس بالراحة الروحية التي تكون من أفضل منحِ الله التي نجدها في الصلاة، تضرع في الدعاء وظل في المسجد حوالي نصف ساعة بعد الصلاة.

عاد للمستشفى ليطمئن على حال أمه، وجد أقاربه في الغرفة عندها ووجدها قد أفاقت، فحمد الله شاكرًا إياه وسارع في

الذهاب نحو أمه، قبَّل يدها وعادت البسمة لشفاهه، وجلسوا جميعًا معها حتى حلَّ الليل، لم يكن يريد تركها حتى وإن أجبرته إدارة المستشفى على المبيت أمام المبنى، ولكن إصرار أبيه وعدم رغبته في الرجوع لدائرة المشاكل جعلته يتقبل الأمر، وإذا به يرجع للمنزل وينام وهو لم يضع لقمةً في جوفه، وراح في سباتٍ عميقٍ ومتهالك.

أيقظه أبوه صباحًا للذهاب معه إلى المستشفى، فقام دون كسلٍ في هذه المرة وتأهب سريعًا للذهاب وذهبوا جميعًا إلى المشفى، وعندما طمأنهم الأطباء عليها أذنوا لها بالرحيل بعد أن كتبوا لها بعض الأدوية الكيميائية ومنعوا عنها من بعض الأطعمة، خاصةً تلك المحلاة بالسكر، تحسنت حال أمه وخرجت منها بسلام، فحمد هو الله لذلك وعادوا بها إلى البيت.

بدت ملامح السعادة على ساكني البيت لرجوعها، لم يكترثوا للمرض ولكن حمدوا الله لعودتها، مرَّ النهار سريعًا وأتى الليل ماضيًا، وبدا على ملامحه بعض الإرهاق، لم يكن يعلم إن كان ذلك خرافة مبتذلة من عقله ليخلد إلى عالمه، أم حقيقة! ولكنه

على أي حال طبع قبلةً على يد والدته ثم راح إلى غرفته ليفرغ عقله، ظنًّا منه أنه ذاهبٌ ليرتاح!

***

ما إن أغلقت عيناه بساطهما حتى وجد نفسه أمام شخصٍ ما جالسٍ على أريكة الانتظار، وهي التي كان (نور) يجلس عليها في أول مرة، كان يبدو على ذلك الشخص أنه ينتظر إحداهن، فلم يلحظ مجيء (نور)، ولم يكن وجهه ظاهرًا بل فقط ظهره.

ذهب ليتأكد من هويته وهو يحاول أن يجد (كانديلا) بأفكاره، وإذا بمن خطَر بباله يحضر، ويكتشف أن ذاك الشخص الجالس على أريكة الانتظار هو ذاته (كانديلا)، وقد اتضح هذا عندما ظهر وجهه وهو يلتفت له ويقول في جمود:

- شايف اللي هناك دي؟

وقد أشار لفتاةٍ كانت تبعد عنه بضعة مترات، فنظر لها في ذهول وأجاب:

- آه، دي ...

فأكمل (كانديلا):

- هي يا نور!

وصمت لصمته ثم تابع قائلًا:

- روح لها!

واختفى فجأة، فتحركت قدما (نور) نحوها، كانت خصلات شعرها الذهبية المتدنية منها لا تُبرز وجهها، أحست بخطواته، فأزالت بيدها بعض الخصلات لتُفصح عن وجهها الأبيض، ونظرت له بعينيها الخضراوان وقالت في صوتٍ بالغ الرقة:

- جيت أخيرًا!

تملَّكه الصمت مما رآه وسمعه، وتحركت في النهاية شفتاه قائلتان في تلجلج:

- أنا أصلًا مجيتش هنا غير علشانك، علشان ألاقيكِ!

فقالت في حُسنٍ مبدع:

- وأديك لقيتني.

ثم سكتت لبعض اللحظات وأكملت في همس:

- أقولك على سر؟

فأومأ لها برأسه في إرداة منه للاستماع، فقالت:

- أنا اللي كنت مستناك، مش إنتَ!

فقال لها في حيرةٍ من أمره:

- مش فاهم، تقصدي إيه؟

فأجابته في شجن:

- أنا موجودة في الحقيقة، أنا مش حلم!

توقف عقله في تعجبٍ من هذا الأمر، ونشأ داخله صراعٌ ما بين قلب يريد أن يصدق، وعقل لا يقبل سوى الحقائق المجردة، فأي حقيقةٍ تلك التي تريدها أن تنطوي عليه، وهي التي لا تنتمي إلى واقعه، ولكنه هو الذي ينتمي لها، فآثر تصديقها.

هام في عينيها غير مصدقٍ لما وصل إليه، ليجيبها دون سؤال ويقول:

- بحبك من زمان قوي!

فقالت هي بنفس الطريقة، ولكن بنبرة ناعمة:

- وأنا بحبك من دلوقتي، كما لو كنت بحبك من ١٠٠ سنة!

ابتسم وعاد ليقول لها بمرح:

- بيجد؟!

فأومأت هي أيضًا برأسها وكررت:

- بيجد!

قالتها وقد كادت تقترب من نفس صيغتها ولكنها أوضح.

أمسكت بيده أولًا ثم راحا يتمشيان في الشوارع ذات رائحة المطر، والذي لم يكن له وجود في الأصل، كانت تتمشى به مرة، ويتوه هو فيها مرتين، كان الناس يمرُّون بجوارهما وهو لا يشعر سوى بها، لم يشغلهُ أحد، ولا حتى (كانديلا) الذي عاد للظهور في الأرجاء يتابعهم في صمت، وكأنه ينتظر شيئًا ما!

مالت عليه برأسها حتى غطت خيوط الشمس الذهبية المنسدلة منها على كامل كتفه الأيسر، ثم قالت في لهفة:

مش ناوي تتكلم عن نفسك شوية؟ أو أي حاجة أقدر أراقب بيها شفايفك وأسمع صوتك!

ليرد هو في إدراكٍ تام:

- إنتِ حلم، أكيد عارفة كل حاجة عني، لأنك مني، ومن تفكيري.

عاد وجهه للعبوس مجددًا بعدما ذكَّر نفسه بما كان يحاول أن يتناساه، فقد ذكر نفسه بالحقيقة المزيفة، ليقول في نفسه: "يا ليت الواقع حلمًا، ويا ليتكِ واقعي!".

حاول أن يتناسى مجددًا، فعاد لحديثه وأكمل قائلًا:

- إنتِ الحلم اللي مش عاوز أفوق منه يا... مريم!

قالها في ذهولٍ تام، كاد عقله أن يتوقف، جحظت عيناه من هول الصدمة ومما رأى، أَتَبِعته إلى هنا؟ كيف؟! وظل عقله يطرح جزيل التساؤلات.

لم يكن عليه بالأمر الهين أن يرى تلك الفتاة الذهبية وقد تحولت لفتاةٍ خمريةٍ اللون، قصيرة شيئًا ما ووجهها ممتلئٌ بعض الشيء! لقد عرف الماضي مخبأه ومهربه فأتى ليُلقي القبض عليه ويسطير على حلمه.

امتلأت عيناه بالدموع الباهتة، وأجابت هي في شموخ:

- حب الست سنين مش ممكن يسيبك كده بالسهولة دي!

ليرتعش هو في ضعفٍ ويقول:

- إنتِ سايباني بره، ليه مسيبتنيش هنا؟ عاوزة مني إيه؟!

لتُجيب هي في نبرةٍ فيها من الكِبر ما يغطي الجبال:

- عاوزاك تفضل تفكر فيا، عاوزة قلبك يا عمر!

فرد عليها في غضبٍ شديد:

- أنا مش عمر! ابعدي بقى!

لتتلاشى من أفكاره، فلم تعد ظاهرةً أمامه، حتى سمع نبرات ضحكٍ متوالية، فنظر لصاحبها ليجده (كانديلا)! حل عليه الصمت مما كان بداخله، فأعلى (كانديلا) من ضجيج ضحكاته، وقال في سخرية:

- كنت عارف إنك هتتخدع يا صديقي.

لم يُجبه (نور)، فتابع قائلًا:

- لا، لا! بس إنتَ طلعت غبي قوي الصراحة، للمرة التالتة توقع! ولا إنتَ مش مؤمن ولا إيه، ها؟! اتلدغت من الجحر نفسه تلات مرات أهو.

ليجذ على أسنانه في شدة ويقول له:

- إنتَ السبب في كل ده!

فهز له رأسه يمينًا وشمالًا وتأتأ، ثم قال:

- الأصح، أنا اللي أقولك إنك إنتَ السبب في كل ده، أنا حبيت بس أثبت لك بإن "جميلة" اللي قولت لنفسك إن هي اللي كنت مستنيها، وإن هي أحق بحبك ليها علشان تستاهل، وحاولت معاها محاولة على حساب حياتك، بعد قصة حب فاشلة قبليها فضلت إنتَ فيها ست سنين، تجري ورا واحدة مبتحبكش! أقنعت نفسك بإن "جميلة" هي المنتظرة لحياتك، وفي الآخر هي قضت معاك فترة مراهقة، وإنتَ كنت الفترة وأديك خلصت، وأديها برضه محبتكش، بس دي مش هتبقى المرة الأخيرة، وإنتَ هتفضل كده لحد متكتشف إن أجمل سنين عمرك عدت، من غير حتى ما يكون فيها ذكرى حلوة، إنتَ ضايع يا صديقي، ولسه هتضيع!

ثم ابتسم له ابتسامة بشعة أنهى بها (نور) حلمه، أو الكابوس بمعنى أدق، وباتت تلك هي المرة الثالثة من نوعها التي ينخدع فيها، فقد كان في كل مرةٍ يخدع نفسه بإرادته للبحث عن تلك الحلقة المفقودة، حلقة اللاوصل، حلقة الـ"أنا" هو "أنت"!

لا يموت الأمل، ولكن نموت نحن في كُل مرةٍ نسعى إليه، ونلقى الألم.

ما لبث أن عاد إلى واقعه حتى أيقظته صديقته الوفية، والتي يكرهها على الرغم من وفائها ويحبها حين تخون، تلك المشعة بالخيوط المنيرة في كل صباح.

***

..٢٠٢٢

بعض الشهور الآن قد مرت، تاركة صراعات نفسية ما بين ضغوط أهلها وضغوطها عليه، لم يعلم أحد بسره الصغير الذي يُخفيه عنهم، هي لا تشعر بتلك الأثقال الملقاة على عاتقه، وهذا كان واضحًا جدًا وهي تقول:

- ما هو مش هفضل كده أتحايل عليك، المرة دي يا إما توافق، يا إما...

سكتت ولم تكمل من شدة هول ما تريد أن تقول، فقال هو بجمود:

- ده كلام أمك! وبعدين لما إنتِ قدها كده، طب ما نخلص!

فردت بعند:

- محدش يقدر يقولي اعملي أو متعمليش، وبلاش طريقتك دي لإنك عارف كويس إني لو عاوزة أعمل حاجة هعملها.

فنظر لها في شموخٍ وقال:

- طب ما تسيبيني كده وتوريني!

استشاطت بالضيق، وقامت وهي تقول:

- طب تمام قوي، وأنا مش قاعدة لك فيها.

قسى قلبها دون أن تعلم، فقد كانت وكأنها تطلب منه الطلاق، تركته وذهبت عند أهلها في محاولة لإجباره، فتظاهر هو بعدم المبالاة، وهي أيضًا، وكان الاثنان بارعان جدًا في هذا الأمر، حتى رحلت! فزال القناع وانهار في البكاء، أصبح رجلًا متزوجًا ولا يزال يبكي بشدة كما الأطفال.

تحولت دموع الأطفال تلك إلى ضحكٍ هيستيري متوالٍ، ورددت نفسه قائلة:

- مشيت!

ثم تعالى أكثر في الضحك:

- مشيت!

ثم تعالت الضحكات أكثر فأكثر:

- مشيت، زي أي حاجة!

وما إن تعالت الضحكات حتى عاد للبكاء مرة أخرى، قد خلت الحياة ممن كانت هي الحياة، رحلت ولن تعود، هو ضعيف كعادته، وهي تكاد أن تكون مجزمة بالأمر، أي صرخة تلك التي تعبر عن الاحتياج، والتي تعلو وتعلو ثم تعود باللاشيء، أي حاجة تلك التي تقيِّد وثاق القلوب، ولكنها ستظل حياةً باعتبار بعض العلماء والمختلين عقليًا!

ما ذلك الذنب الذي اكترثه؟! كان يريدها بجواره فقط، لما يطلب من الدنيا شيئًا آخر، ولكنها لم تفهمه، عاد وفكر قليلًا، فوجد أنها لم تخطئ وأن هذا حقها، وأنها إن كانت تعلم الحقيقة، فما كانت لتعامله هكذا.

ضاقت به الدنيا وحيدًا، فهو لم يعتد المبيت في الشارع، كانت هي المنزل الذي طالما كان يحب السكون إليه، وأي امرأة أخرى فهي بالنسبة لها مجرد حجارةٍ صماء، لا تسمع ولا تبصر ولا تمتلك

قلبًا، حتى وإن ملكت كل هذا، فمن تلك التي ستكون مثلها حتى وإن انشق الزمان وأنبت من في مثلها جمالًا؟! لم يقاوم ولم يستطع التأقلم على الأمر، كان مرور يومٍ واحدٍ على غيابها كفيلًا بالحنين إليها كل لحظةٍ أكثر.

ارتدى ملابس الأنيقة وهندم طلته، بعد أن أقر بوجوب الحاجة للذهاب إليها، وبالحاجة لها فيما تبقى من حياته، نزل على السلالم وتناولت يده هاتفًا حديثًا، ففتح تطبيق التواصل الاجتماعي "فيس بوك"، وأرسل لها رسالة كاتبًا فيها: "هستناكِ في أول مكان استنانا القدر فيه، بس انجزي، بحبك ها!"، ثم أغلق قفل الشاشة، وانطلق.

ما بين السيارات وهرجها، كان يخطو بخطوات ضعفٍ للوصول لقوة وجودها، ركب إحدى "الأوتوبيسات" الخاصة بهيئة النقل، دفع الأجرة وجلس في كرسي بجوار النافذة، وما بين بعض الزحام والشوارع، سار الأوتوبيس حتى وصل إلى مكانٍ راقٍ قليلًا، فقرر هو النزول على الفور بالرغم من مخالفة المكان لما هو ذاهب إليه، لكن عيناه اهتمت بـمشتل ومتجر يبتاعُ الورود،

دخل فألقى السلام، ثم بدأ يختار بعض الورود ذات اللون البنفسجي والأحمر والأبيض، وقال البائع في تطفُّل:

- أنا ممكن أجهز لحضرتك باقة حلوة.

فقال بصوتٍ جاف:

- لا، شكرًا، أنا هختار بنفسي.

فرد البائع في محاولةٍ لإثبات جدارته بالوظيفة:

- أصل الألوان مش مناسبة خالص!

فابتسم ابتسامة عابرة وقال:

- هي بتحب كده!

ثم تابع قائلًا:

- وإنتَ مالك أصلًا؟!

سكت البائع بعد أن قال "براحة حضرتك"، لم تكن تلك الخِصلة من خصالة مطلقًا، لكنه قد تطبع قليلًا بطبعها، فهو لم يجد طريقةً أفضل من هذه لمنع تطفل المتطفلين.

دفع له النقود وخرج ليتمشى حتى وصل إلى المكان، والذي كان يبعد قرابة ربع ساعة عن المشتل، جلس على منضدة في الظل

بعيدة عن الشمس، وكان يخبئ ما قد اشتراه في طريقه، سحبت هي كرسيًا في غفلةٍ منه وجلست دون أن تتكلم، فقدم لها باقة الورد وقال في هدوء:

- ملقيتش أحلى منك أجيبهولك، فتواضعت شوية وجبت ورد!

لم تمد يدها لأخذها منه، وتركت يده ممدودة بباقة الورد في الهواء، فتركه على المنضدة وبدا على وجهه الاستياء، فقالت هي في لومٍ جاف:

- مكنتش عاوزاك تسيبني، كان نفسي تمسك فيا ومتسيبنيش أمشي! أنا كنت محتاجاك!

فشعر بألمٍ داخله وقال:

- وأنا كنت محتاجك، لدرجة إني معملتش اعتبار لكرامتي وجيتلك، إنتِ مش فاهمة ولا عارفة حاجة عن اللي جوايا، أنا متكسر!

فردت في حيرة:

- طب ليه مش راضي تعرفني باللي جواك؟! بقالك فترة كبيرة مش زي الأول، ومبتحكيش ولا بتفضفض، وعاوز تفهمني إن الدنيا من بعد جوازنا مبقاش فيها تعب مع إن شكلك مبيقولش كده!

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال:

- مش مهم تعرفي، خليكِ جنبي ومعايا بس!

فقالت في تصميم:

- وأنا عشان أبقى جنبك ومعاك، لازم أعرف!

فوضع يده على جبينه وإتكأ عليها في يأس وقال:

- أنا مبخلفش!

ساد الصمت على الأجواء، ظهرت الصدمة على وجهها وأحسَّت بإثم كبير، حاولت أن تتماسك عن البكاء حتى لا يلحظ الجالسون بالقرب، نظر هو لها نظرةً مرهقة، فقالت في صوتٍ مرتعش:

- أنا آسفة!

ثم مدت يديها الاثنتين على المنضدة وأمسكت بيده التي اختلطت بالدموع لتحاول التخفيف عنه، وأردفت في نبرة مقشعرة يملؤها الحزن:

- أنا محتاجالك أكتر منا محتاجة عيال منك، أنا عمري ما هسيبك، أنا كنت طماعة مش أكتر، اتعميت عن كوني معايا اللي ميتعوضش!

ثم مثَّلت الضحك وقالت:

- الورد ده ريحته معفنة قوي، شم كده!

ومدت له يدها بالورد، وتبعته بأنفها الصغير، فاقترب هو ليشمه، ففاجأته بقبلةٍ وضعتها له بين الورود، كانت كافيةً لتزيل عنه بؤس العالم كله، فابتسم وقال في مرح:

- يا مجنونة، الناس!

لم تبالِ هي، وقامت واقفةً قائلةً في حنين:

- هنا في يوم من الأيام، وفي المكان ده لقيت حياتي.

فوقف هو أيضًا وأطلق نظره محدقًا في السماء، وقال:

- وأنا كمان، هنا، في نفس اليوم اللي من الأيام ده لقيتيني، فلقيتك.

أصبح للزمان فضلٌ في مرور ما عبثت به ظروف، ها قد عادت السعادة إليهما، وإن لم تعُد بالشكل الكامل، فقد عادت.

***

عاد إلى منزله بعد الدروس المتتالية، كان قد أُهلك ولم يفق حتى لتناول الطعام، ذهب إلى النوم مباشرةً، فقد بات هذا العالم غير مناسبٍ له، وأصبح اليوم بالنسبة له هو مجرد حلم يريد أن يفيق به، وأفاق به فعلًا..

- عامل إيه دلوقتي؟

قالها (كانديلا) بعد أن وجده وتابع:

- ولا أقولك، احنا مش بتوع الكلام ده، صح كده يا صديقي؟!

فأجابه:

- صح! هنعمل إيه النهارده؟

فرد عليه براحة:

- سيبها للقدر، وتعالى نتمشى شوية.

فأومأ رأسه في استسلام، وبالفعل تحركا في المدينة، ظل يمشي دون كلام وظهر الملل على وجه، وكان الناس المبتذلون يمرون بجواره، رجال وفتيات وأطفال وشيوخ، كأنه في الواقع دون أن يشعر، ظلت خطواته تتبع الملل وعدم الشعور، حتى توقف وخرج عن حالة الشرود الفكري، وجد نظره قد رصد فتاةً تقف بعيدًا، تتكئ على سورٍ مميلةً رأسها للأسفل، وجهها نحو المجهول وظهرها تجاههما، كانت ترتدي حجابًا أبيضًا وشالًا مُخططًا.

ظل يتمعن بها وكأنه يعرفها، وكأنها قريبة منه للغاية، برغم البعد والمسافات، قطع تركيزه (كانديلا)، وقال له:

- قريب قوي، متخافش.

انتبه من شروده، وقال:

- هو إيه اللي قُريب؟!

لم يهتم لما يقول، وتابع وهو ينظر لها:

- غريب الحب ده! قادر يعلق قلب بقلب لمدة سنين من غير ما يشوفوا ولا يعرفوا حتى بعض، وكل واحد فيهم بيتعب في مراحل الوصول للتاني، الوصول لمجهول، هو بيحبه بدون سبب، لحد ما يقرر القدر إنه يتدخل، فيلاقوا في قلوبهم حب يكافئ السنين اللي عاشوها، وكإنهم اتولدوا بيحبوا بعض!

أخذ (نور) نفسًا عميقًا وقال:

- ممكن.. ممكن!

لم يبرح نظره من عليها، كان شيء ما يسحب منه قلبه لها روايدًا روايدًا، انجذبت قدماه لها، فبدأتا تخطوان تجاهها، فقال (كانديلا) في نبرة تحذيرٍ حادة:

- ما تقربش دلوقتي، ارجع!

لم ينتبه له (نور)، وتمادى في التحرك..

انتهى الحلم بشكل مفاجئ، أفاق على أنفاسه وهي تدخل إلى رئتيه وتخرج منها بشكل سريع، قد تملك العرق جسده، حتى اعتدل ولم يجد أحدًا بالبيت، كانت الأجواء هادئة، فقد ذهبت

أمه وأخواته للمبيت عند خالته التي دعتهن للعشاء والمبيت من قبل، أخبرته أمه قبل نزولها، ولكنه دائم اللحاق بالنسيان.

تذكر، وبدأ في ممارسة طقوسه اليومية، وأضاف لصباحه فنجانًا من القهوة، تأمل في "وش القهوة" قبل أن يزول، وشرع يرتشفُ منه حتى فرغ كاملًا، بعض الاضطراب كان يظهر عليه، ولكن لم يعرف السبب.

نظر في الساعة فوجد أن موعد المحاضرة قد فات، رغم حرصه على الحضور إلا أن داخله كان سعيدًا بما قد حدث، فقرر أن ينزل من البيت ويكرر تلك العادة الغائبة.

خرج من بيته معلنًا عدم التواجه مع البشر، والحرية العشوائية التامة في سيره، ركب سيارته الحديثة للغاية بعد أن لبس نظارته السوداء، أخرج المفتاح وأدار المحرك، فوجد رجله قد همَّت في التحرك، وبدأت الشمس تتلاعب بعينيه، فابتسم ورحل.

طال الطريق وهو لا يزال سجين عينيه اللتين لم تتحررا بعد من قيد ذاك الحلم وقيد تلك الفتاة، بدأت قضبان السكة الحديدية للـ"ترومواي" تتخذ وضعها على الأرض، تراقص كتفه أثناء

تمايلها في السير، كان يضع سماعات الأذن ويتلاشى أصوات الناس المحيطين به، نظر للأرض ثم أعاد النظر للأمام، فوجد فتاةً تبعد عنه بضعة أمتارٍ على نفس الطريق، كانت تجري، وكان ينسدل منها نفس الشال المخطط، فأزال سماعات الأذن، وبدأت عيناه في الاتساع، ليسرع في الركض للذهاب إليها، ظلت كل قدم تتبع الأخرى في محاولة الوصول لها، أصر على الضغط على قدميه، شعر بشيءٍ يجذبه إليها، رابط غريب، كلما أوشك على الوصول لها بعُدت، نفرت أنفاسه منه، نظر نحوها فوجدها اختفت بين السيارات، أمال ظهره للأسفل وتنفس الصعداء، حتى وجد "التروماي" أتى أمامه، فابتعد مهرولًا عن طريقه وركل حجرًا صغيرًا أمامه في خيبة أمل.

ما هي إلا دقائق ورن الهاتف، ضغط على زر الرد وتظاهر بالحالة الطبيعية، تظاهر بأنه "عادي"، وقال:

- إيه يا (مازن)؟

فرد الآخر:

- إيه يا عم؟! هو مش احنا متفقين إننا كلنا هنحضر محاضرة الإنجليزي وبعدين نقعد مع بعض؟

فأجابه (نور) في برود:

- معلش! صحيت متأخر فملحقتش.

- طب إنتَ فين كده؟

فنظر (نور) حوله في تعجب، وقال:

- تقريبًا كده في مصر الجديدة، ومتسألنيش بعمل إيه أو ليه، لأن أنا ذات نفسي معرفش!

فقال وهو يضحك مستهزئًا:

- فين في مصر الجديدة؟!

فبحثت عيناه عن أي شيء يدله، ثم قال في حيرة:

- هو الترومواي بيبقى في مصر الجديدة وفين تاني؟

فزادت نبرات ضحكه المستفزة وقال:

- نهار أبيض! بص يا نور، احنا هنسبقك على البلاي ستيشن، وابقى تعالى لنا.

لم يتفاعل مع الضحك، فهو لم يكن ينقصه ذلك، وقال:

- طيب، سلام!

تظاهر الآخر بالاهتمام وقال:

- مالك يا نور؟! في حاجة!

فأجابه:

- لأ، مفيش!

وكانت هذه الجملة كفيلة بإنهائهما تلك المكالمة بـ"سلام".

لم يكُن يُكِنُّ له (مازن) أي حب، ولا هو أيضًا، وكان يراه في غاية اللؤم والخبث، لكنه لا يعلم ما سر صبره عليه، أهو (ياسر) صديقه الآخر المنحاز لـ(مازن)؟! ذلك الطيب المخدوع والمتسرع كما يراه هو! كانوا على موعدٍ جميعهم بما فيهم (أحمد) وشخص آخر للتجمع واللعب، لكن (نور) خالف مواعيده ومثل كل مرةٍ فاتت.

سار (نور) يسأل بعض الناس عن المكان الذي وجد نفسه فيه، حتى تأكد من أنه بالفعل في "مصر الجديدة"، فقرر أن يركب أقرب عربة تمر به ليعود إليهم سريعًا ويلحق بهم، وبعد أن ركب إحداها، ظل ينظر من شباكها في حالة من الشرود والسرحان،

فهو لم يجد من كان عنها يبحث، فأراح ظهره للخلف، وقفت العربه لتُنزل أحد الركاب وأُغلق الباب، أثناء غلقه وطيران السائق، لاحظ نفس الشال! فارتبك وقال للسائق:

- لو سمحت! رجعني للمكان اللي نزلت فيه الآنسة اللي كانت لابسة شال مخطط.

نظر السائق خلفه في حيرة، وقال:

- أنهي آنسة دي؟!

فقال له في عجالة:

- اللي لسه نازلة دي!

تعجب السائق وبعض الركاب، وقال:

- ده راجل كبير، مش آنسة يا نجم!

فكرر عليه:

- أنا أقصد الآنسة اللي كانت لابسة شال مخطط!

فأجابه السائق في سذاجة:

- ما هو لابس شال فعلًا!

سكت (نور) وشعر بالجنون، نظر له الركاب نظرةً تجمع ما بين المجنون وشاب يعاكس فتاة، "ما هذا العبث الذي يحدث لي؟!"، تلك هي الجملة التي لاحت في دماغه ولم يجد منها المفر، إلا أن يزيدها.

وصل كعادته متأخرًا، دخل محلًّا مزينًا بصور لاعبي كرة القدم ويملؤه الصخب والأغاني، وجدهم يجلسون في آخر رقعة من صالة المحل فتوجه نحوهم، ليجد (مازن) يُجالس (أحمد) على جهاز "بلاي ستيشن"، و(ياسر) يجالس (عماد)، وجدهم جميعهم وقد كانوا مندمجين في اللعب لدرجة أنهم لم يشعروا بوجوده، انتظر أن يُنهي أحدهم ما يلعبه، فتفكيره المشوش لم يُجبره إلا على السكوت.

فرغ (عماد) و(ياسر) ولاحظا وقوفه بالقرب منهم طيلة هذا الوقت، فقال (عماد) في سخريةٍ من نفسه ومنهم:

- هو إنتَ واقف كل ده هنا ومحدش واخد باله؟!

فالتفت إليهم (مازن) و(أحمد) وقالا بضحك "هو أنت هنا؟!"، ليكتفي هو بابتسامة صغيرة صاحبتها كلمة "معلش

بقى!"، نظر له (أحمد) واستوعب أن هناك شيئًا ما يُخفيه (نور)، ولكنه لم يُرِد أن يسأله أمامهم، وقال له (مازن) في نبرة تحدٍ ليست بالغريبة، فهو دومًا ما يتميز بالثقة حدَّ الغرور:

- تعالى بقى أغلبك ماتشين.

فرد عليه (أحمد):

- تغلبه ازاي بقى وأنا لسه غالبك؟!

فردد بكلمته التي يعتبرها حجته دائمًا:

- حظ بقى!

فجادله (أحمد) قائلًا:

- والمرة اللي فاتت كانت حظ برضه؟! عمومًا نور هيكسبك حظ برضه!

وما إن أتى (مازن) للرد عليه إلا وقال (نور) –في تعبٍ لم يظهر لهم عليه من الخارج، بل كان يلتهم داخله –:

- ريحوا نفسكم، أنا أصلًا مش هلعب!

فقال (مازن) بضحك:

- خوفت!

سئم من الرد عليه، فتجاهله وقال:

- أنا جاي أقعد معاكم شوية علشان مبقاش اسمي مجيتش.

نظر له (أحمد) وقال بغباء:

- مش هتلعب يعني؟!

فأجابه وهو يهز رأسه:

- آه.

كان (عماد) و(ياسر) انشغلا باللعب مرة أخرى بعد أن سلموا على (نور)، فقد لبوا رغبته واستجابوا لها، في الوقت الذي كان يودُّ فيه أن ينعزل عن العالم أجمع، ألزم نفسه بالجلوس معهم، لأن أغلب العقول الصغيرة لن تعي ما قد وصل إليه من تعب!

سمع صوت أذان العشاء، فقام صاحب المحل وكتم صوت الأغاني، كنوعٍ من أنواع احترام الأذان، وقام (نور) ليرجع إلى البيت محاولًا الانعزال عنهم، وقال:

- أنا همشي علشان اتأخرت.

- طب اصبر علشان عاوزك.

قالها (أحمد) وهو يلعب، فأجابه (نور) وهو يتحرك:

- معلش! خليها بعدين، علشان مش قادر وعاوز أنام.

فاستجاب له وقال:

- طب تمام، هحاول أجيلك يوم الجمعة اللي بعد الجاية، أكون فضيت.

فاستجاب هو الآخر ورحل عنهم، ودماغه قد انشقت من الصداع، الخيال ليس غريبًا عليه، ولكن الغريب هو تلك التي دخلت حياته دون أن يعرفها، دون أن يراها أو يسمع صوتها، رغم كونها غريبةً عنه إلا أنه كان يمشي في الشوارع باحثًا عنها بنظره مرةً أخرى، وكأنها شيء قد ألفه، كأنها هي!

- هي!

لم يكن أحد من أهله قد أتى، وكانت فرصةً جيدةً لمحادثة نفسه.

رد على نفسه قائلًا:

- ممكن بس مش أكيد.

لا أحد أنتَ ليُشعَر بك، وحدكَ من تمتلكُ مشاعرك، ووحدها «هي»، من تجعلها تشعُر.

أين السبيل؟! هذا هو السؤال الذي لا يزال يُؤرِّخ ما تئول إليه نفسه من انهيار، وكأنه السقيمُ بها.

***

شرعت الأيام في المرور، لم يلحظ مرور العام الفائت، ولم يعد يحلم، لم يجد (كانديلا)، أصبح يراها كل يوم ويحاول اللحاق بها بلا جدوى، في كل مرة كان يعدو خلفها وهو يعرف أنه لن يصل، ولكن كان هناك دافعٌ داخله يجذبه نحوها، تدهورت حالته النفسية حتى أصبح يحدث نفسه كثيرًا، يراها ويحاول الربط بين أماكن وجودها وكيفية رؤيتها، يحاول الوصول إلى شيء، جاء (أحمد) إليه كما وعده، جاء ليجد صديقًا غير الصديق، شخصًا نحيفًا ذا جسدٍ مهترئ، غمر اللون الأسود تحت عينيه، فتح له الباب ولكنه لم يستطع أن يُمثل الابتسامة، فقط أدخله وقال في صوتٍ جاف:

- أدخل! مفيش حد هنا، كلهم عند جدي وأبويا في الشغل.

دخل (أحمد) بعد أن بدأ يتملكه القلق عليه، تبعه إلى غرفته فوجدها مليئة بالورق الملصق، فنظر لـ(نور) وقال:

- مالك يا نور؟!

جلس هو على مكتبه بينما (أحمد) جالسٌ على السرير، وقال بطريقة غريبة:

- اصبر، هوريلك حاجة.

أمسك بقلم رصاصٍ وأنهى به ما كان يرسمه، ثم عرض عليه الورقة وقال في نبرة انهيار:

- هي دي يا أحمد! أنا مش مجنون، رسمي وحش بس هي دي، أنا مش عارف أشوف وشها لحد دلوقتي، بس الشال! هو الشال بس اللي بلمحه في كل مرة، وطرحة بيضا!

ثم ترك له الورقة التي كان عليها رسمةٌ لظهر فتاةٍ ترتدي شالًا مخططًا، ورجع لمكتبه ليلصق ورقةً أخرى وهو يقول:

- أنا متأكد إني هوصلها، بس ازاي هوصل للمستحيل يا أحمد؟! ازاي؟! كل حاجة بقت متكررة! كل يوم بشوفها بنفس الطريقة، وبعدها تجري وتختفي!

عجز فم (أحمد) عن النطق، بينما (نور) يتصرف ويتحرك بسرعة مرتبكة واضعًا وجهه تجاه المكتب، ويقول في يأس:

- كل حاجة ابتدت تسود وتقلب، أنا تعبان.. تعبان!

كاد أن يصرخ، ولكن وضع يديه على فمه بطريقة لا إرادية وقال:

- أنا ابتديت أحس إن فيه حد بيراقبني، حد قاصد يعمل فيا كل ده، أنا مش فاهم حاجة!

وظل يبكي ويكتب على المزيد من الأوراق ثم المزيد، كانت أنظار (أحمد) منصرمة نحوه، وعندما تحرك ليحاول التخفيف عنه، قال:

- كفاية تفكير يا نور بقى!

ثم نظر للسقف وقال:

- قولتلك مش هتبقى قد العالم ده!

لم يكترث، وظل يكتب ضاغطًا على القلم بشدةٍ حتى انكسر، فأتى بغيره وظل يكتب.. كتب نفس الكلام بتكرارٍ لأمر لم يفهمه أحد، حتى هو لم يفهم نفسه.

ارتعشت يداه وأغمض عينيه وكتب، ثم ترك القلم وظهر على ملامحه الشرود وقال:

- هي قريبة، بس أنا اللي بعيد!

أعادها مرتين، ونظر للسقف قاصدًا السماء وقال:

- إنتِ فين؟! أنا محتاجِك، محتاجك لدرجة إني مش محتاج نفسي، أنا محتاجك وبس!

زاد قلق (أحمد) وهو يرى وجهه إذ أصبح داميًا من شدة ضغطه على نفسه، كان كلاهما مكبل اليدين، رأى روح صديقه تنفد ولا يقدر على فعل شيء، والآخر يموت يأسًا وكمدًا، يُقتل ببطء، قد فتكته تلك الرصاصة التي أُطلقت من مجهولة! فتكت قلبه ومزقت روحه إربًا إربًا، ثم تجمعت مرة أخرى وسكنتها، حتى روحه قد هجرته وتركته وذهبت لأحضان قاتلتها، وأصبح هو يريد الانتقام من قاتلة روحه، أصبح يريد أن يرتمي في حضنها هو أيضًا.

سمع صوت الباب يفتح، فأوصد باب غرفته ومسح بيده وجهَه وحاول أن يخفي تلك الدموع، ثم نظر للمرآة وقال:

- أنا قوي، أنا مش بعيط.

ثم أدار نفسه، وقال لـ (أحمد):

- تنمية بشرية بقى يا أحمد!

ثم ربت على كتفه وابتسم ابتسامة مكسورة وذهب لفتح الباب.

***

الموطن، الحمى، الحياة، الروح وآخر بنات حواء على الأرض! كل ذلك هو ما كانت تمثله هي له، في القواعد الدنيوية يفنى الجسد دون روح، فأين الروح ليعيش هذا الجسد المهترئ، كانت هي ذاك الركن الدافئ الذي تسكُن إليه روحه، غارت روحه عليها فلم توصِله إليها، فعاش ميتًا يرجو رؤياها.

حاول الهروب منها في خياله، فلا تركته ولا أعطته الوصال، ليصبح مُعلَّقًا بين برزخ الواقع والخيال، وجودها وافتقادها، كل المنافذ لا تؤدي سوى إليها، هي تلك الصورة التي عجز عقله عن إشراقها في التصوير، أي جنةٍ هي التي خُلقت له على الأرض؟! أي فتاةٍ هي؟! بات كعاصٍ يحلم بخمر الجنة، وبخمرها الحلال!

الفصل الرابع

"كل شيء يمكنك أن تتخيله، حقيقي!"

بابلو بيكاسو

٢٥ يناير ٢٠١١..

كل الأيام تتشابه، لم يجد نفسه، فقرر في الصباح أن يعاود عادته القديمة، قرر النزول بعدما قارب ثلاثين يومًا من العزلة، أدركَ أن حالته تسوء.

بدل ملابسه، وذهب لأبيه الذي كان جالسًا في البيت لإجازة عيد الشرطة، ما لبثوا أن سمعوه يطلُب النزول إلا ورضوا، ولكن نهَوه عن التأخير وعدم الاقتراب من أية تجمعات، كان اليوم حافلًا ببعض الكلمات المترددة على وسائل التواصل الاجتماعي، بعض الشباب قد دعوا بعضهم لتجمع للقيام بمظاهرة لإقالة الحكومة، لم يتوقع أحد حدوث ضجة، فهي ليست المرة الأولى التي تقوم فيها مظاهرة صغيرة وما تبرح أن تنفض.

نزل وظل يغريه المشي العشوائي وهو يضع سماعات الأذن، تبحث عيناه عن مكانٍ هادئ يجلسُ به ليتناول وجبته من القراءة، أو ربما لا يبحث عن المكان! بل يبحث عنها، تاق جسده للذهاب لـ"كورنيش النيل"، لم يكترث لتحذيرات والديه، كيف له أن يذهب له وهو قرب ميدان التحرير، المكان الذي

نوى المتظاهرون الاحتشاد فيه، لم يشغله هذا الأمر عن دوافعه النفسية وعن رغبته.

فقد أعلن توجهه بركوب المواصلات، بعض الشوارع لم تكن تُنبئ عن أية تظاهرات بخلوها، كالعادة ظل يتأمل الأوجه من العربة، كانت الأنغام تتراقص في أذنيه، أراد أن يتسارع الوقت ليحين موعد النزول، فهو دائم الشعور بالغثيان والدوار، والمعروف عنده بـ"دوار البر".

تمكن الليل من النهار، وصل للميدان، وجد آلافًا مؤلفةً من الشباب يملؤهم الحماس، وتتدافع منهم الهتافات المضادة للحكومة، أحسَّ بنفسه تنتفض معهم وهو يمشي بجوارهم، رفع رأسه بفخر، أحس بنشوةٍ غير عادية ولم يكن يود تركهم، ولكن فضَّل الجلوس بقرب النيل، نزل السلم المؤدي لمقاعد تطل مباشرة على النيل حتى وصل لأحدها وجلس عليه، أخرج روايةً من حقيبته وبدأ يقرأ بها سطورًا في ظل النسمات الهادئة وأضواء القمر المنعكسة على النيل، سهت عينه اليسرى وتأملت ما يستقر على شماله، فتحولت نظرته للتعجب وجحظت عيناه، ارتفع

حاجباه مع صوت خفقان قلبه، وقال لنفسه بصوت مسموع: "هي!"، عادت مرة أخرى، لم يترك تلك اللحظة تمر وجرى يعدو نحوها، كانت جالسةً على آخر حجر من الأحجار المرصوصة لتكون برزخًا بين النيل والبر، خطوة واحدة بعد الحجر الذي كانت تجلس عليه كافيةً للوقوع في مياه النيل الثقيلة واحتمال الغرق، ترتدي نفس الحجاب الأبيض، رأسها يتمايل وكأنها تنظُر للقمر، فتجاوز السور وبدأ يتوزان ويفرد ذراعيه ويدوس بحذرٍ على الأحجار حتى وصل إليها، تملكتهُ ابتسامة النصر والراحة بعد عناءٍ وقال:

- أخيرًا لقيتك، المرة دي مش هتهربي مني!

التفتت ونظرت له بوجها الأبيض وعينيها الكستنائيتين اللتين انعكس عليهما ضوء القمر تاركًا النيل، فواصل هو تقدمه في غير وعي من أثرِ ما وجد، ثم كادت أن تغوص رجله اليمنى في المياه، فشدته هي من يده اليسرى نحوها بسرعة لتُنجده، وقالت في هلع:

- حاسب يا غبي!

لم تبرح عيناه من عليها ووقف متجمدًا بالسكون، فسحبت يدها الصغيرة وقالت في حيرة وتعجب:

- إنتَ بتبوصلي كده ليه؟! وبعدين إنتَ مين أصلًا؟!

فجلس على حجرٍ بالقرب منها وتمعن أكثر في النظر إليها وقال:

- أنا حد بقاله سبع سنين بيدور عليكِ!

ثم لاحظ أنها كانت تقرأ رواية وسماعات الأذن تنسدل منها، فأكمل وهو ينظر للقمر في عينيها قائلًا:

- الحكاية صعبة شوية عليكِ وممكن تفتكريني بعاكس، بس أنا مش هسيبك المرة دي، أنا بحبك أيًّا ما كنتِ!

لم تعتد الحديث مع شاب، لكنها شعرت بشيءٍ غريبٍ يجعلها مُقبلة للرد عليه، فقالت:

- إيه اللغبطة دي؟ وإيه اللي إنتَ بتقوله ده؟!

فأمسك بحجرٍ صغيرٍ ثم قذفه في المياه وأجاب:

- الحكاية طويلة، بس صدقيني زي ما بقولك كده، أنا عارف إنك صعب تفهمي، بس أرجوكِ متمشيش.

لم يكن أيٌّ منهما يدرك ما يحدث، حينها سلمت أمرها لخالقها وأخذت قسطًا من الهواء وأخرجته وهي تقول:

- وإنتَ مستنيني أقولك إيه يعني؟!

فوضع يده على رأسه وحركها في بطءٍ وحيرة، ثم قال بطفولية:

- مستني حاجة مدهشة!

ظهرت بسمةٌ صغيرةٌ على وجهها وضعتها موضع إهلاس وحاولت إخفاءها، وقالت في نبرة راحة:

- إنتَ مين؟

ابتسم وقال في تلجلج:

- نور.. نور مصطفى الحسيني.

ثم حاول تغيير مجرى الكلام لعدم إحراجها وتابع قائلًا:

- قبل ما أتطفل وأزعجك، كنتِ بتقرأي رواية إيه؟

فقالت وهي تنظر له:

- عهد.

فقال في تعجب:

- غريبة! أنا بحب الروايات بس أول مرة أسمع عن رواية بالاسم ده، مين الكاتب اللي عملها؟

فضحكت ضحكاتٍ متوالية، تاه هو فيها، لم يكن ليصدق بأن يحدث هذا، أيعقل!

تأمل صوتها وصوت ضحكاتها الملائكية، فقالت:

- ده أنا! يوه، أقصد ده اسمي أنا، إنما الرواية اسمها "باربا روسا".

فتلألأت ضحكاته صاعدةً للسماءِ كأسراب النجوم، ثم توقف لبرهةٍ عنها وقال:

- معلش لو مفيهاش إساءة أو إحراج، ممكن تقروصيني؟

فقرصته، وقالت وهي تتابع ضحكها:

- متخفش! أنا مش حلم.

فتأكد من قولها وأحس أنه بدأ يُجن، لا يقدر على مواربة أو ترك النظر لعينيها الكستنائيتين، شعر بسعادة كبيرة لبهجتها ولتقبلها له، وكأن القدر قد جمع أرواحهما من قبل، كأنها قد ألفته منذ سنين، فكانت تتصرف وهي غير مدركةٍ لما تفعله، ولا تعرف

السر وراء هذا الذي تفعله، هي فقط تشعر بصدق كلامه بشكلٍ غريب.

قاطع حديثهم صوت إطلاق طلقات نار، فقاما مسرعين إلى حيث يذهب الناس، حتى وجدوا طريقًا للخروج بأمانٍ من الميدان، جرى كلاهما حتى خرجا وتنفسا الصعداء، بعد أن رأوا مقاومة وشجاعة أغلب الشباب الذين وقفوا أمام الطلقات بحجارة الأرض والتي ألقوها على أفراد الشرطة، وبعدما استقام كلٌّ منهما من ركوعه في محاولةٍ لجذب الأنفاس، وجد يدها ممسكةً بيدها طوال هذا الركض كله، فتركها واعتذر بصمت بعد أن تورَّد وجهها من الخجل، طلب منها أن يوصلها ولو قليلًا، فقبلت بغرابةٍ شديدة، ركبا إحدى السيارات ولكنها لم تكن كافيةً لإيصالها لبيتها، ففضل كلاهما المشي بعدها، وتخلل كلام كلٍّ منهما داخل الآخر، حتى مرَّ الوقت بسرعة وقاربا على الوصول لبيتها، فاستعد للرحيل وتركها، وعند أول خطوة لم يستطع مقاومة ما دار بفكره، فأدار نفسه وسألها:

- هوصلك تاني إزاي؟

تحرك جفناها في لحظةٍ وقالت في ترحاب:

- لو عندك فيس ابقى اكتب في البحث "عهد محمد لاشين"، مش هتلاقي غيري بنفس الاسم، ولو معندكش، كده أو كده هتلاقيني بكرة في نفس المكان.

ولوحت بيدها مشيرة بالسلام ورحلت، فكان هو في كامل سعادته، يتذكر عينيها ووجهها وشفتيها أثناء الكلام، لم ينسَ تلك الليلة التي رحلت معها.

بمجرد وصوله إلى المنزل، فتح جهاز الكمبيوتر ثم الفيس بوك، وكتب "عهد محمد لاشين"، فوجدها وأرسل إليها طلب صداقةٍ وترك لها رسالةً كاتبًا فيها "ده إيميلي"، ظل يتصفح صفحتها الشخصية في محاولةٍ لمعرفة الكثير عنها، غار عليها من قبل أن تكون له، خاف أن يكون قد تسلل لها أحدٌ وسكن قلبها، أو يحاول شخص ما التقرب إليها، اطمأن قلبه بعد مراجعة الصفحة كلها، ثم أغلق الجهاز وذهب ليخلد للنوم، ولكن في هذه المرة لكي يفيق للواقع، وليس ليهرب منه.

***

٢٦ يناير ٢٠١١..

كانت بداية شرارةٍ تحمل في طياتها الكثير، فبعد اندلاع ثورة تونس قرر بعض الشباب المصريين إكمال المسيرة، بدأ العرب يهبُّون هبَّة واحدة للتحرار، لطالما كانت تحتوي الثورات أقدار الملايين من البشر، فأي قدرٍ قد أتى بـها!

صوت التلفاز عال، الضوء يسيطر على البيت، أفاق هو من نومه وتوجه للشرفة، الشارع مُفعم بالحيوية، الناس تذوب بألسنتها الأحاديث، نظر للساعة فوجدها تخطت الثالثة عصرًا، قد أنسته فرحته الأنيسة لليلة البارحة أن يضبط المنبه على وقت المحاضرة، خرج للصالة فوجد أخته (إسراء) أمامه تهمس في صمت:

- متعملش أي صوت علشان أبوك بيتفرج على الأخبار.

فأومأ لها رأسه، فتمايلت بعض خصلات شعره التي كانت تغطي عينيه ومر بسلامٍ سريع، وجد (عمر) أخاه يُثرثر ببعض الكلمات التي لم يفهمها:

- البلد مولعة من امبارح، وإنت نايم في العسل!

لم يكن يدرك أي أحد من أهل البيت أنه كان يتمخطر على "كورنيش النيل" ليلة الأمس في ظل كل هذه الأحداث، ولولا حسن حظه لكان يبيت الآن في أي من معتقلات "أمن الدولة" أو أحد الأقسام، ومن يعلم! فربما كان سيلقى حتفه وهو يبتلع قطعة من مخدر "الحشيش" وينفرد بمركزٍ ليس بالأول وليس بالأخير، فيكون من أحد الشباب الذين تشابهت حالتهم مع (خالد سعيد) عن طريق الصدفة، كما لا يدَّعون!

***

حين أشرق الروتين بيومٍ جديد..

صخبٌ وضجيجٌ كانا لوالديها، واللذين قرَّرا جعل المشاكل والخلافات جزءًا من الحياة اليومية، وكأنه مسلسلٌ أُجبرت على مشاهدته، بل والتضرر منه، حياة نفسية هشة ومترددة، مزاج متقلب، ملل ذاتي وكآبة متأخرة تبسط لها ذراعيها أثناء وحدتها، وأثناء قرب زائف من أشخاص زائفين، وقرب بائس من أشخاص لا تشعر أنها تنتمي إليهم، كأنها كائن فضائي، رغم

بساطتها الشديدة، إلا أنه لا أحد يعطي لها من وقته القليل ليفهم، لا أحد يهتم، الكل لديه ما يكفيه من الشغل الشاغل في الحياة.

فتحت متصفح "الفيس بوك" فوجدت شخصًا ما قد أرسل لها طلب صداقة وهناك بعض الرسائل غير المقروءة، فتذكرته سريعًا ولم تتعجب كثيرًا لنسيانها الدائم، والذي يتمادى بها حتى حين تنهار.

وجدت اسمه فقبلت الطلب، وقرأت رسالته واكتفت بإرسال بعض الرموز التعبيرية المبتسمة، لم تكن تعلم إن كانت على صوابٍ أم خطأ، كيف لها أن تقبل للمرة الأولى في حياتها مقابلة شابٍّ وبشكلٍ غير رسمي، وجدت دافعًا غريبًا يدفعها نحوه، وجدت معه في تلك الدقائق القليلة شيئًا مُفتقَد، لم تكن تحملُ لنفسها أي اسم وهي معه، وكأنها تعرفه، ربما كان نسيانه لأول مرةٍ سببه الهموم والأفكار المتشابكة، سرحت لوهلةٍ في التفكير فيه ثم عادت لنفسها، وقررت عدم الذهاب إليه، قررت ألا تأخذ تلك الخطوة الهاوية بالنسبة لغريب، لم تُخبره بأنها لن تأتي،

وسرعان ما حذفت الصداقة التي قبلتها للتو، وعزمت على تلاشي الأمر.

(عهد محمد لاشين) أوشكت على إتمام عامها التاسع عشر، وتدرس في السنة الأولى الجامعية بكلية الفنون الجميلة، تمتلك بشرةً بيضاء وعيونًا واسعةً كستنائية، قصيرة بعض الشيء، وذات جسم رفيع وشعر بني فاتح اللون لم تسمح له بالانسدال من حجابها.

***

أخبر والديه بأنه ذاهب لـ(أحمد)، واخترع حجةً بأنه مريض، لم يكن منزل (أحمد) بالبعيد لدرجة مسافةٍ تحتاج لركوب وسائل المواصلات، وافق أهله، وقام هو بدوره واتصل بـ(أحمد)، فأجابه بعد ثوانٍ وقال له في عُجالة:

- أنا رايح زي ما قولتلك امبارح على الفيس، إذا حد من أهلي اتصل، قول لهم إني بجيب أكل من تحت وراجع، أنا قايل لهم إنك تعبان وإني جايلك.

فقال في حرصٍ على صديقه:

- يا بني إنتَ أهبل! ميدان إيه وكورنيش إيه اللي تروحه دلوقتي، البلد مقلوبة!

سكت قليلًا ثم تابع:

- وبعدين مين البنت دي اللي قعدت معاك على الكورنيش في وقت زي ده وروحتوا الساعة اتناشر نص الليل، ومسكت إيدك من أول مرة! نور.. إنتَ رجعت تتخيل تاني؟!

ارتبك عقله واضطرب فكره، وقال في لهجة متراخية:

- أنا مش مجنون يا أحمد! أنا متأكد من اللي بقوله، أنا حسيت بيها، حسيت بقبضة إيديها وهي بتمسكني قبل ما أقع، حسيت بيها طول الوقت!

فرد (أحمد) بنبرةٍ تحذيرية وقال:

- طب تمام، احسبها زي ما تحسبها، بس أنا مش هسيبك يا نور تعمل اللي في دماغك، ولو صممت هتصل بأهلك أفهمهم على اللي فيها.

استشاط هو غضبًا، فهو لا يحب أن يلزمه أحد بفعل شيء، أو أن يمنعه عن فعل ما ابتغاه، فكر بعقلانيةٍ ثم رد قائلًا:

- تمام، تمام..

فسأله (أحمد):

- يعني مش هتروح؟

فرد بهدوء:

- آه، بس خليك فاكر الموقف ده.

فأعاد صوته للنبرة الساكنة وقال في راحة:

- الأيام هتثبت لك يا صاحبي إني عاوز مصلحتك وكنت خايف عليك!

فأمأم هو وأغلق الحوار، وأنهى كل منهما المكالمة بالسلام، وأوضح له (نور) أنه تقبل الأمر.

صمم أكثر على الذهاب ولم يهتم للأمر، فهو يعلم أنه حين يتصل أهله فسيتصلون به وليس بـ(أحمد)، كان يريد فقط التأكد من التدبير، وبدأ رحلته.

وصل بعد أن أنزلته العربة قبل الميدان والكورنيش بقليل، بعض العربات الخاصة بالشرطة كانت تتوالى الواحدة تلو الأخرى، كل على حدة وبين فترات زمنية منتظمة، للتأكد من عدم احتشاد

المتظاهرين مرةً أخرى بعد أن تم تفريقهم بالأمس، جلس هو في نفس المكان واضعًا سماعات الأذن، مُمسكًا بقلمِ الحبر ومذكرةً كان قد خصصها لكتابة الأبيات التي ترِد على ذهنه، مر الكثير من الوقت حتى سمع أذان العشاء، كان يتأمل في أوجه العابرين على أملٍ في أن يلقاها، لكنها لم تأتِ، ظل ينظر إلى ساعته تكرارًا محاولًا تمرير الوقت، ولكن بلا جدوى، شعر في ذاك الحين بجبلٍ من اليأس والحزن يُكبِّله، وأحسَّ أن كلام (أحمد) صحيح، فلم يجد له أنيسًا سوى النيل ليجلس في نفس المكان الذي رآها به للمرة الأولى، جلس على تلك الصخرة المتكأة على أصدقائها من الراكدين في النيل، جلس ينظر إلى العدم، باتت حلمًا، ورحل الحلم.. هكذا اليأس!

تترامى أمامه الأفكار، خلع السماعات حتى لا يسمع سوى سكونًا لعالمٍ غير موجود، وأنين وصرخات لا تُسمع إلا في داخله، ذلك السكون من العدم.

وضع يده الصغيرة على منكبه في وضعية إتكاء، وإذ فجأةً يجلس شخص إلى جواره، فحرك رأسه ناحيته موجهًا نظره إليه، قائلًا:

- إنتِ هنا بجد؟!

قالها وهو يتأمل وجهها الذي سقط كالبدر أمامه ليزاحم النيل، قالها في آخر محاولة لإنقاذ عقله من الجنون، فأردفت قائلةً بصوتٍ رخيم:

- مش عارفة ازاي حصل! بس اللي أعرفه إن أنا هنا جنبك.

لمست كلماتها الرقيقة قلبه، فأنكس رأسه وخبأ وجهه منها، مريحًا جبهته على يده، وتلاعب بيده اليسرى بمياه النيل، يمينًا ويسارًا بشكل عشوائي، امتلأ بالبؤس عن آخره، لم يتمكن من التفريق بين الواقع والخيال، وسرعان ما اختلطت بعض الدموع المتساقطة من عينيه بالمياه، فرددت هي نفس الكلام وقالت:

- أنا جنبك، ومش هسيبك يا نور!

فتابع هو بنفس الوضع، تابع ناظرًا للأمام وقال:

- أنا تعبت! مليون طريق بمشيه علشان أوصل لك، ومبوصلش! كل مرة بكتشف في الآخر إن الطريق عبارة عن وهم وسراب، كل حاجة بصدقها بتطلع وهم في وهم، حتى

إنتِ خايف أصدق وجودك فتختفي! بحاول مصدقش وجودك علشان تبقي معايا لأطول فترة ممكنة.

ثم نظر للأسفل وتابع بضعفٍ صاحب نظرات عينيه:

- أنا محتاجِك قوي.

حاولت التخفيف عنه بتغيير الموضوع، وقفت وقالت بابتسامة صغيرة:

-تعالى نقف في الميدان شوية، في جو حلو من الهتافات بره.

فقام من جلسته ومسح ما علق بوجهه من دموع، ثم نظر إليها وبادلها بابتسامة، وذهبا معًا للميدان الذي كان يعجُّ بآلاف البشر، كان ضجيج الهتافات يُشعل حماسًا يزداد داخله، كانوا يشتعلون بهتاف "الشعب يريد إسقاط النظام"، وكانت اللافتات تحمل صورًا للرئيس (حسني مبارك) مكتوب عليها "ارحل"، أعلام مصر ترفرف وتزهو بها جميع أركان الميدان، وقفا يتأملان هتافات المتظاهرين، رغم القمع والبطش والظلم إلا أن هتافات تلك الجموع تبث في الروح الفرح، ظلَّا في حالةٍ من السعادة، حتى أتت بعض الغربان من الشرطة بمصفحاتها

تهرول بسرعة وتتخبط في الناس عمدًا، طلقات رصاصٍ حي تُطلق بشكل عشوائي، ابتعد كلاهما وكانا على وشك الخروج من الميدان، حتى سمعا بعض الشائعات التي تقول أن الشرطة تطوِّق خارج الميدان، وتعتقل كل من تجده، فظلَّا يطوفان في الميدان هروبًا من الطلقات مع بعض المتظاهرين الذين يفرون ويكرون.

بدأت الأوضاع في الهدوء، مصابون هنا وهناك، تشتت أنظارهم حتى لمح (نور) مجموعة من الأشخاص تُقِل شخصًا مصابًا حاملين إياه، فاقترب مسرعًا وسمع أصواتًا مختلفة كان أوضحها عبارة التوحيد "لا إله إلا الله"، نظر لوجه ذلك المصاب فوجده شخصًا ممتلئًا قليلًا، قمحي اللون ودماغه مغطاةً بالدماء، منشقةً وكأن شخصًا قد ثقبها!

- أحمد!

قالها وهو يرتجف وينظر لجثمان صديقه الذي لقيَ مصرعه للتو، وضع يده على كتف صديقه وهزه قائلًا:

- أحمد! رد عليا، قولي إن ده حلم!

لم تكن أعصابه تقوى على صدمةٍ كهذه، نظر للناس ثم صرخ قائلًا:

- كفاية يا كانديلا! عاوز أفوق!

نظر لجرح صديقه الذي يخرُّ دمًا من رأسه، ثم سقط على الأرض ودخل في حالة إغماء، كانت قد لحقته هي ورأت حالته، ولم تقوَ على رؤية (أحمد)، ففزعت وتأملت في وجه (نور) الذي انتشله الناس من على الأرض محاولين إفاقته، ولكن بلا جدوى، لم تقدر على أن تتصرف تصرفًا واحدًا، فهي بالكاد عرفته قبلها بيوم، ولا تعرف له بيتًا أو أحدًا يدلها أو يساعدها، فاكتفت بالصمت وتتبعته بنظرها.

***

أفاق من ذلك الحلم الأشبه في ختامه بالكابوس، تنهَّد وظهرت على وجهه علامات الإرهاق، حمد الله كثيرًا لكونه حلم، فحين كاد قلبه أن يطير من السعادة، توقف وأصبح الحلم كابوسًا عاشه، بعد أن وجدها في أرض الخيال طردته الشياطين من جنتها ورمته على رفات جثة صديقه، لم يمنعه كونه كابوسًا وانتهى أن

يتصل بصديقه للاطمئنان عليه، أخرج الهاتف من تحت وسادته واتصل به، وثم انتظر رده وهو يستمع للجرس، حتى رد فقال:

- إيه يا حبيبي، عامل إيه؟

فرد (أحمد) قائلًا:

- الحمدلله تمام، وإنتَ؟

فتلاشى عنه الرد وقال:

- لازم أقابلك النهارده.

فسأله:

- اشمعنى، في حاجة ولا إيه؟!

- لا مفيش، بس محتاج أقعد معاك شوية.

فلبى له رغبته وقال:

- تمام، يبقى النهارده في الكافتيريا بعد العشا.

فوافقه الموعد وأنهى المكالمة سريعًا، تجهز بسرعة ونزل ليحضر المحاضرة.

فرغ من أمره وأنهى دروسه ومذاكرته وكان لا يزال يتبقى نصف ساعةٍ على صلاة العشاء، لم تغب عنه عيناها الكستنائيتان

ووجهها الشبيه بالبدر حين يكتمل، منذ طلعية هذا اليوم وهو يفكر بها، غابت الشمس ولم تغب ذكراها، كأنها شمسًا في الصباح وبدرًا في المساء، فتح جهاز الكمبيوتر وقصدَ متصفح "الفيس بوك"، وضع أصابعه على لوحة المفاتيح وهمست شفتاه قائلةً في صوتٍ خافت: "عهد محمد لاشين"، وتحركت أصابعه على المفاتيح ليكتب اسمها في خانة البحث، علَّ جزءًا من الخيال يكون حقيقة! ضغط على زر البحث، وما هي إلا ثوانٍ ولم يظهر شيء، فذاك الاسم غير موجودٍ بالمرة، أخذ قسطًا من الهواء ثم استسلم.

بعد نسيانٍ تامٍّ للميعاد، وشرب ثلاثة أكواب متواليةٍ من القهوة في غضون ساعة وكمٍّ من الدقائق، نظر للساعة بعد أن استعد فوجدها تقارب الثامنة والنصف، نزل مسرعًا واتصل بصديقه معتذرًا عن التأخير، متحججًا بحجج ليس لها أساسٌ من الصحة، وتابع في طريقه.

وجده (نور) على نفس المنضدة المعتادة، ظل ينظر له وهو يتوجه ناحيته، وابتسم ابتسامة صماء مبتهجًا لرؤية صديقه مرة أخرى،

فرد له (أحمد) الابتسامة بعد أن جلس بجواره، وحدثه بصوت هادئ وقال:

- جيت أهو، ها في إيه بقى يا معلم؟! قلقتني!

فابتسم مرة أخرى وقال:

- إنتَ نكدت عليا أحلى حلم في حياتي وخليته كابوس!

ظهر على ملامح (أحمد) عدم الفهم وقال:

- ازاي يعني؟!

فنظر للقمر الذي كان في غاية البروز من السماء وقال وعيناه تلتمعان:

- امبارح لما قولت لك عنها بسرعة ونمت، روحت لعالم تاني كإن اليوم لسه مستمر.

فضحك وقال:

- الله يخربيتك ويخربيت دماغ اللي هتوديك في داهية دي! كمل كمل، أما نشوف آخرها.

فأردف قائلًا:

- لأ وكلمتك كمان في التليفون، وليلة كبيرة قوي!

فقال بنبرة الوعظين:

- إنتَ بتدمر نفسك أصلًا، يا بني إنتَ مش مدرك إنك قعدت امبارح لحد الساعة اتناشر مع حد مش موجود أصلًا، كفاية بقى طريقة الحلم اللي بتعملها دي.

فرد في تجاهل:

- قضيت أحلى يوم ما حصلش، بس...

فتابعه في الكلام وقال:

- بس إيه؟!

اختفت الابتسامة من على وجه (نور) وقال:

- إنتَ مت في نهاية الحلم وقلبتهولي كابوس لحد ما فوقت.

فضحك (أحمد) ضحكاتٍ متوالية وقال:

- ملكش حظ تفرح ولا حتى في الأحلام يا صاحبي!

وتابع الضحك، فضحك (نور) لضحكه وقال:

- شوفت بقى!

فقال وهو لا يزال يضحك:

- عيل فقر، وشكل هتفقرني.

ظهر على وجهه علامات التعجب بعد أن نظر لساعة هاتفه وقال:

- هو الوقت جري كده ليه أنا لسه باصص من عشر دقايق ولقيتها تسعة، ازاي لحقت تدخل على اتناشر؟!

فلم يتوقف عن الضحك وقال له:

- شوفت مش بقولك فقر.

وربت على كتف (نور) وهو يقوم استعدادًا للمشي، فأمسك (نور) يده بعد أن وجدها ممسوحة تمامًا من الخطوط، ونظر لوجهه وهو يقول: "أحمد!"، فوجد رأسه تنزف دمًا وهي منفتحة بنفس الطريقة التى رآه عليها في الحلم أو الواقع! فهو الآن يصرخ وهو مدرك تمامًا أنه في حُلم، ويقول وكأنه ينفجر:

- كانديلا...

اختلط عليه الواقع بالخيال، سقط عقله من حافة الانهيار إلى الجنون وأوشك على النفاد، لم يعد لوعيه منذ أن سقط أرضًا، تلك هي الحقيقة التي لم يكن يدركها عقله.

***

١٦ فبراير ٢٠١١..

اليوم الواحد والعشرين وما زال لم يفِق بعد من غيبوبته، لم تتركه هي بعدما مشت خلف الناس الذين أخذوه إلى المشفى، وتوصَّل الناس لأهله من الأرقام المسجلة على هاتفه.

أصبحت صديقةً لـ(إسراء) أخته بعدما تعودت على رؤيتها، وهي التي وقفت بجانب أخته عند وفاة أمها، والتي توفَّت فور سماع خبر أن ابنها نُقل من الميدان إلى المستشفى، عاشت كلا من عائلة (نور) وعائلة (أحمد) أيامًا سوداء، حاولت هي فيها التخفيف عن (إسراء) ووقفت بجوارها بداعي أنها صديقة (نور)، قد فقد صديقه ثم أمه، هم ينتظرون عودته إلى الحياة، ولا يعلمون كيف سينتهي أمرٌ مثل هذا، وإن كانت (إسراء) لا تزال لا تقوى على فقدان أمها وتحاول التماسك أمام (عمر) أخيه الصغير والأكثر تعلقًا بأمه، والتي كانت حالته لا يرثى لها، كيف سيقنعون (نور) بأن يعود لتلك الحياة التي فقدها.

استيقظ على أضواء المستشفى الشديدة، قد آذت عينيه فكاد يغلقهما، هرولت إليه (عهد)، فنظر لها وقال بصوتٍ منغلق:

- أنا بحلم تاني!

تغرغرت عيناها بالدموع وقالت بنبرة أمل:

- لأ، مش حلم!

دخلت (إسراء) إلى الغرفة بعد أن أنهت المكالمة مع أبيها، هرولت هي الأخرى إليه، لم تعلم للفرح طريقًا ولكنها حاولت رسمها، في صمتٍ حرك رأسه ببطءٍ وقال:

- أحمد مات، صح؟!

فأومأتا رؤوسهما في حزن، فتابع بهمهماتٍ لم يفهماها:

- مات، مات، مات!

حدثوه بأنه قدر الله، لكن لم ترحل عنه فكرة أنه موت صديقه، لم يكن يتحمل، حتى انتبه فجأةً لغياب أمه وقال:

- هي أمي فين؟

فتمالكت (إسراء) نفسها ولم ترد، بينما تظاهرت (عهد) بالثقة الكاذبة وقالت:

- قاعدة مع أم صاحبك الله يرحمه بتحاول تخفف عنها، ولسه ماشية من شوية كانت بتطمن عليك.

لم يرُق عقله لمزيد من التساؤلات، أو وضع مجال للشك بسبب عدم تصديقه للكلام، فسكت رغمًا عنه، حتى دخل الطبيب إلى الغرفة مبتسمًا وقال:

- بسم الله ما شاء الله! حالتك في تحسن كبير يا بطل النهارده.

ثم نظر لهما وقال:

- انتوا مقولتلوش على الخبر الحلو؟!

فظهر عليهما الإجابة بلا، فقال له وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- مبارك رحل، والثورة نجحت، وبإذن الله حق صاحبك هيجي.

فنظر له نظرة يأسٍ عابرة وكأنه يقول: "بس صاحبي مش هيرجع!"، خيبة الأمل قد تربعت عليه، تلاشى الأمر مما أثار تعجبهم وقال:

- هو النهارده كام في الشهر؟

فأجاب الطبيب:

- ستاشر فبراير، بقالك أكتر من عشرين يوم فاقد للوعي، وأحيانًا كنت بتهلوس بحاجات.

فسأله وكأنه ينتظر إجابةً ما وقال:

- كنت بهلوس وبقول إيه يا دكتور؟

فلم يفكر وقال:

- كانديلا! في كل مرة كنت بتهلوس كنت بتقول فيها كانديلا، وفي جملة غريبة قولتها قبل كده.

فحرك رأسه في إشارةٍ لمتابعة الحديث، فأكمل قائلًا بعد أن عدل من نظارته:

- كانديلا قريب! بس متقلقش أي حد وارد جدًا بعد أزمة نفسية شديدة يقول أي حاجة مش مفهومة وهو في غير وعيه.

ثم استأذن منهم وخرج، وطلب (نور) أن تناوله إحداهما أي شيء يكتب به، ثم أعطته (عهد) المذكرة الخاصة به، فكتب: "كانديلا قريب؟".

ثم أعطاها إياها وطلب منها الاحتفاظ بها، ثم راح في سباتٍ عميق.

***

عادت إلى منزلها وقد كانت الساعة تقارب الحادية عشرة ليلًا، هي الابنة الوحيدة، لم يكن لها هذا البيت وطنًا، بل كان صراعًا دائمًا ومجلسًا للخلافات، لا تلقى أي اهتمامٍ من والديها، فلا أحد متفرغٌ لها وكانوا يكتفون فقط بالمعاتبة الصماء عند تأخرها، هذا هو دورهم الكبير، أو الوحيد! لم تكُف عن معاتبة نفسها، لمَ طغَت في فعلها؟! أي شخصٍ هو لتهتم به وتتدخل في حياته لهذه الدرجة؟! ترى أي غيمةٍ أمطرت به في حياتها وأي قدر ينتظرها؟! هي مؤمنة جدًا بأن لكل شيء سببًا، ولكن أين السبب في أن تُجذب له بهذه الطريقة؟! أين السبب في الذهاب له يوميًا وكأنه أخوها أو شخص قريب جدًا منها؟! في كل ليلة كانت يئن عقلها بالتفكير المفرط، كانت تُرضي وتُسكت نفسها مقنعة إياها بأنها ربما تقف جانبه لما تراه من السواد الحالك الذي يعُمُّ على حياته، لربما أرادت أن تكون الضوء الوحيد له بعد أن أعتمت شتى مصادره!

استيقظت على أشياء لم تعتد عليها، هدوء تام يغمر المكان، اعتدلت ثم أزاحت خصلات شعرها البني والتي انعكس عليها

ضوء الشمس الذي يطل من الغرفة ليُكسبها لونًا ذهبيًّا، خرجت لغرفة المعيشة ولم تجد أحدًا يوبخها، كانت فارغة، بل كان المنزل كله فارغًا، ما كانت تحسُّ بقرب حدوثه قد حدث! فقد غادرت أمها البيت ذاهبةً إلى بيت أهلها، وأبوها قد توجه إلى عمله، هل حان وقت طلاقهم أم هي مجرد معركةٍ صغيرة؟!

ارتدت ملابسها وتوجهت إلى المشفى بعد أن اتصلت بها أمها وسردت لها كم أن أباها سيئ، بات كلامها أشبه لما يقوله عنها أبوها أيضًا، يُشابهان جدًا بعضهما البعض حتى في رمي الحمل على الآخر، كانت تتلاشى كل الكلام بعد أن اطمأنت لعدم طلاقهما، ثم أغلقت الهاتف وأمها تختمُ كلامها بالوصايا العشرة التي تضُم عدم التأخير، وأخذ حذرها، وألا تنزل إلى الشارع وألا تذهب لأي مكان، ظلت أوامرًا حتى أبَت أفعالها سوى أن تجعلها مجرد كلمات ليس لها من معنى.

وصلت المستشفى، وسارعت في الذهاب إلى غرفته، لتجد الغرفة خاويةً عن بكرة أبيها، فسألت ممرضةً كانت تمشي في أحد

الطرقات عنه، فأخبرتها أنهم غادروا المستشفى ليلة البارحة، بعد أن أتى والده واطمأن على حالته بالأمس.

فراحت لبيته كي تطمئن على صحته، كانت قد زارت بيتهم قبلًا منذ ثلاثة أيام لتؤنس (إسراء) في شدتها، منهم مرة قد ذهبت فيها إلى الجامعة ثم مرت بهم، توجهت لبيته حتى وصلت، خلعت سماعات الأذن ثم طرقت الباب ففتحت لها (إسراء) وهي منهارة في البكاء، ففزعت وسألتها عما جرى، لتخبرها بعلم (نور) بوفاة والدته، تلك الحقيقة التي حاولوا إخفاءها عنه، لم يصمدوا أمام أسئلته المتكررة عنها بعد أن شعر أنَّ في الأمر خَطبٌ ما، وأخبرتها أنه خرج من البيت بعد أن صرخ متوجعًا، وأنها قلقةٌ عليه، فهم لا يعرفون له مكانًا!

ذهبت مسرعةً لتستقل "مترو الأنفاق"، بعد أن أخبرت (إسراء) بوجوب رحيلها في هذا الوقت، وصلت إلى المكان وبدأت تبحث عيناها عنه، إلى أن وجدته يجلس في نفس المكان، يجلس عند آخر تلك الصخرة، كانت تشعر بأن هذا هو المكان المناسب الذي سيلجأ إليه، فهو ملجؤها الوحيد الذي تلوذ إليه

للفرار من ضجيج عالمها هي الأخرى، اقتربت منه فوجدت عينيه عاجزة عن الدموع، وجدته أصمًّا ينظرُ للمياه، فانعكست صورتها على سطحه، ثم شعر بيدها وهي تسكن إلى كتفه، لتقول بحنان الأم:

- محدش سابك يا نور! هما بس راحوا مكان أحسن، إنتَ لازم تفوق من اللي إنتَ فيه ده، إخواتك محتاجينك.

فرد بصوتٍ جافٍّ قائلًا:

- ما هو ده اللي مانعني من إني أروح عند أمي وأحمد!

ثم أنخَّ رأسه وأنكسها للماء، وتابع:

- بس دي مش الحقيقة.

فسألته:

- أومال إيه الحقيقة؟!

فتابع بلهجة ضعف:

- الحقيقة إن أنا جبان وعاجز، جبان عن إني أموت نفسي، وبتحجج بإني خايف من ربنا وخايف على إخواتي، وعاجز عن إني أروحلهم!

ثم نظر لها باستعجابٍ بعدما لاحظ الشال، أيقعُ من حلمٍ إلى آخر؟!

***

..٢٠٢٢

بعض الأسابيع كانت كافيةً للوصول لمرحلة الملل، قد علمت أنه لا يستطيع أن يُنجب فحاولت واحتوته، لكن في كثير من الأحيان كانت تجد المشاكل إليها سبيلًا، والتي تتسلل إليها بسبب افتقادها للأمومة، لم تكن تشعر بكلام أهلها وهو يُعمِّر داخلها ويُشعلها تجاهه، دون أي جديدٍ يتصنعون الأوجه لبعضهما البعض كل يوم متظاهران بالسعادة، والتي كانا ينتظرانها منذ صغرهم، ذلك المعتقد الكاذب بأن الراحة تأتي بعد الزواج، وأن الحب هو أهم طريق يوصلك للسعادة، ولكن ماذا عساهُ يفعل الحب دون شغفٍ وبلا أي جديد؟! تظل الشمس كما هي تشرق وتغرب إلى أن تحين الساعة، ألم تحِن ساعة هذا الزاوج بينهما للسعادة؟!

***

في يومٍ عاصف من أيام مايو ٢٠٢٢..

انخلعت كل رداءات الحب حين عاد من عمله فلم يجدها قد صنعت له أي شيءٍ يُؤكل، فسألها كعادته منذ بداية علاقتهما، أن يستفسر أولًا قبل أن يحكُم على أي فعلٍ لها:

- معملتيش أكل ليه؟ هو في حاجة؟!

فأجابت في استهانة:

- مليش مزاج أعمل أكل النهارده.

حاول أن يتمالك أعصابه وقال:

- مالِك طيب؟

فأردفت:

- مش لازم يكون في حاجة.

فأشاح بيده وقال وهو يتجه لغرفته:

- يووه! مزاجي، مزاجي، أنا زهقت!

كان بـهذه الكلمة يرفع راية استسلامه لمرحلة الملل، بدأ كل منهما ينعزل عن الآخر، حتى صارا لا يفهمان بعضهما البعض، هي لا تعي أنه يؤثر الجميع على نفسه، وأنه يقوم بواجباتٍ كثيرة في العمل، مما يجعله ممتلئًا من الإرهاق وفارغًا من المشاعر، وهو لا

يفهم أنها بدأت تُعاني من أهلها لدرجة أنها أصبحت لا تملك أية طاقة، فشخصية مزاجية مثلها قد تحوي الكثير دون أن يشعر أحد، بل وتسكُب قليلًا مما بداخلها عندما يقترب منها أحد، أحيانًا تضحك لكيلا تبالي لما بها، وأحيانًا أخرى تبكي حين ترى شرَّ انعزاله عنها.

جلس في غرفته وحيدًا بعد أن غيَّر ملابسه وعاد إلى ما يقرأ، لطالما كان يجد في الكتابة والقراءة الشيء الذي يحكي ويتحاكى معه الكلام، يجد من يعبر عنه بين سطوره، ومن يبوح له بمكنون فكره دون القلق أن يفشي سر دواخله، كل السطور عاجزة على الوصول إليك حتى تؤمن بها، وتشعر بأنَّات حروفها وبهجتها، حتى تتخلل أعماقها وتجد لك مكانًا فيها بعيدًا عن هذا العالم، مكانًا حيث تجد ما تُريد، كان ذلك هو المكان الثاني الذي يُحِب ويجد فيه السكون.

كانت القراءة هي المكان الذي يغادر إليه من وطنه الكائن بها، وتغادر هي أيضًا له بنفس الطريقة، فيغتربا عن بعضهما البعض، فلو أن لكتابيهما أن يجتمعا، لأبت كل الحروب عن الاستمرار،

وأصبحا في سلامٍ مُحملٍ بالورود، وسكن كلاهما وطنًا واحدًا، وطن تكون هي فيه الروح، ويكون هو بها الجسد.

ازدادت وتيرة الاشتعال يومًا بعد يوم، بدأ جدار الحب الذي بنياه معًا في الانهيار.

- إنتِ طالق!

قالها بعد أن أحس بأنها بحاجةٍ لهذه الكلمات، بعد أن كثُرت أحواله المزاجية وازدادت حالته في التدهور، في وسط التعب الذي قد عاناه في تلك الأيام، فلدى كل إنسان خمس لحظات تتحكم في مصير باقي الدقائق والساعات والأيام والشهور والسنين، بل وربما العقود أيضًا، لحظة السعادة، لحظة الجنون، لحظة الحزن، لحظة الذكرى ولحظة الغباء، وكانت اللحظة الأخيرة هي اللحظة التي مرَّ بها للتو!

أخذت هي ترتدي ثياب الخروج، ثم خرجت وهو ما زال لم يبرح مكانه، كانت الصدمة تعُج بالتغلغل فيه، إلى أن أحس في هذه اللحظة، أحس أنه خسر ماضيه وحاضره، رأى مستقبله ينهدم أمامه، فشعر بالذنب.

لم يتحملها لتحمُّلها له، كان قرارًا صحيحًا نسبةً إلى مصلحتها، فبعد أن وجدها لا تسعد بحياتها معه، ولاحظ التدني الذي وصلت له وما عادت إليه من الكآبة، أراد أن يُطلقها، كأنها طير كان يرعاه، فحرره ثم استوحش غربته.

الفصل الخامس

الحياة لا تتوقف برحيل أحدهم، وإنما نحن الذين نتوقف؛
لأننا عاجزين عن الحراك بدونهم...

١٧ فبراير ٢٠١١..

لم يكن من الصعب عليه تذكرها، فقد جعله هذا الشال يخطو الكثير من الخطوات في العدم من قبل.

الشال الذي كان يراه في الحُلم، ونفس الشال الذي كان يراها به في الواقع المزيف، لم يطِق عقله كثرة التفكير، تمنى لو أنه لم يكن، بعد أن بدأ يتيقَّن بأنه في حلمٍ آخر، انشق رأسه نصفين بفعل الصداع النصفي، لم يعلم كيف يجتاز هذه الحياة، تمنى لو أن يصبح كل هذا من فعل (كانديلا)، وأن يكون حلمًا كبيرًا يفيقُ منه فيجد كل شيءٍ قد بات على ما يرام، ظهرت عليه علامات الذهول وقال:

- الشال!

فأجابت في تبسُّم:

- آه! بحب ألبسه جدًا، هو الحاجة اللي باقيالي من بلدي.

كان قد نظر للساعة في شاشة هاتفه، وبدأ يُقلب الهاتف ليتأكد مما رأى فيجدها على طبيعتها لم تتغير، إنه الواقع الذي اختلطت دماؤه بالخيال، فعاد لسؤالها "عن أي بلدٍ تتحدثين؟"، فأجابت

بأنها: "فلسطين"، شرع يربط بينها وبين حلمه، أراد أن يبتسم فلم يُطِعه عقله وتشتت ملامح وجهه، وقال:

- هو إنتِ من فلسطين؟!

فأجابت بنبرة اعتزاز:

- الأب قدسي الأصل، بس الأم مصرية.

تلك الأنات في نفسه كانت تمنعه على أن يُحلق في السماء فرحًا، في هذه اللحظة صارت قيود الدموع أشد تصلُّبًا من الحديد، لم يستطِع أن يرد، نظر للسماء في تغيرها السريع، تطلع فيها على وجه أمه وصاحب أذنه صوت صديقه.

لاحظت هي شروده وانغماس الدموع في وجهه، والتي بدأت تنزل ببطء، أمسكت بيده كاسرةً لكل الحواجز هذه المرة، أمسكت بها عمدًا، وقامت من مكانها وشدت عليها مُخبرةً إياه بلغةٍ خاصة أن يقاوم، ثم قالت له بنبرة قوة:

- إخواتك محتاجينك، لازم ترجع علشان ميضيعوش هما كمان.

فقاوم هو مستجيبًا لها وقال:

- عندك حق! ولازم أمشي من هنا دلوقتي.

توجه عائدًا إلى بيته وأصرت هي أن تصحبه إلى هناك، أبعدت يده عنها بعد أن أحست بالحياء، هي تعلم أنه فقد كل ما لديه فحاولت أن تسانده، عاطفتها لم ترضَ بتركه وحيدًا يلقى هذا المصير البائس.

***

٢١ فبراير ٢٠١١..

ولت الأيام بالمرور، كان بعض المُسمِّين بالأصدقاء قد زاروه زياراتٍ شكلية، لم يختلفوا كثيرًا عن أقرابه، بات الكل ينبذونه وينظرون له نظرة المُختل عقليًا الذي أودى بحياة صديقه وأمه بسبب تصرفاته اللاعقلانية، صار يرى بوضوحٍ حياته وهي تتخذ مسارًا من التدني، كان يُلامس التغير السريع، يتظاهر بالابتسامة ويرعى إخوته في غياب أبيه في عمله، يضحك ليُنسيهم الألم ويبكي وحده في الخفاء، يُحدِّث نفسه بما هو كائن في هذه الغرفة التي لا تحمل سواه، بعد أن أوصل إخواته ليجلسوا مع خالتهم، انفرد بنفسه ليحاورها، فقد أصبح (أحمد) الذي كان

يحكي ويتحاكى معه وهو مطمئن في عداد الموتى، كان يبحث عن حضن أمه ليرتمي به، فقال للفراغ الذي كان يحدق له في السقف:

- الدنيا ضلمت قوي يا أمي! قربي مني شوية، ارجعي لي.. إنتِ عارفة إني مبحبش الضلمة يا أمي، أنا خايف!

ثم تغير فجأةً بشكل هيستيري وذهب ووقف أمام المرآة، صار ينظر لها وهو يحاول مسح دموعه ويقول:

- كفاية بقى! أنا كويس.

ثم تراجع في كلامه، بعد أن أعطى ظهره للمرآة وقال ببكاء طفلٍ لأمه:

- لا، أنا محتاجه.

ثم لف نفسه بسرعة ونظر للمرآة مرةً أخرى، وقال بغضب وهو يُشير لنفسه المنعكسة فيها:

- إنتَ السبب في كل ده!

وكررها مرتين بنفس الحدة، ثم راح تجاه مكتبه الصغيرة يُفتش عن شيءٍ ما حتى وجد ذاك الكتاب، ونظر للاسم وهو يستشيط بالغضب، فمسح حروفه المتربة "الحلم الواعي"، ما لبث أن

ظهر هذا الاسم والذي أتى به لكل هذا حتى بدأ يقطع صفحاته ويمزقها إربًا إربًا، إلى أن وجد ورقةً تحمل اسم (كانديلا) قد اختبأت بين الصفحات، استغرب لأمرها، فظل يُفكر في اندهاش، وانشغل ذهنه للرد عن هذا التساؤل الذي طرأ عليه بغتة.

في تلك الآونة الأخيرة لم تكن تأتي له، لم تزُره ولو لمرة، في محاولةٍ منها للابتعاد بعدما تنبهت لكل الأخطاء التي ارتكبتها في ظل القرب منه، اقترابها من شخصٍ غريب وامساكها ليده، وعدت نفسها بعدم الرجوع، واكتفت بإعادة الصداقة التي كانت بينهما على "الفيس بوك" للاطمئنان فقط عليه، لحظاتٍ وأتى إشعار يخبرها بأن هذا اليوم هو عيد ميلاد (نور)، فأخذت شهيقًا طويلًا، ثم أرسلت له رسالةً وكتبت فيها: "كل سنة وإنتَ طيب".

في هذا الوقت استقبل هاتفه الرسالة، ففتحها ورد برسالةٍ أخرى وكتب: "لو مفيهاش إحراج يعني، ولو أمكن.. ممكن أشوفِك النهارده؟"، ثم أرفقها برسالةٍ أخرى وكتب: "محتاجِك"،

كانت هي الأخرى متصلة بـ"الفيس" في نفس الوقت، فقرأت الرسالة وكتبت له بحزم "لأ، مش هينفع!"، ثم توجه إصبعها لزر الإرسال، لكنها توقفت وحذفت ما كتبت، وأبدلتها بـ "في نفس المكان والوقت، هتلاقيني هناك"، عادت عن قرارها للمرة الثانية، وهي التي لا تغير قراراتها، أصبحت تتراجع فيها أكثر من مرة، شعرت أنها إن تركته هذه المرة، فستكون قد خذلته كما فعلت حياته.

دخل الميدان فوجد أنه ما زالت بعض الحشود موجودة، وبدأ يظهر له شكل (أحمد) وهو ينزف الدماء، ولكن طاب جرحه لذكراه بشكلٍ غريبٍ أثناء سماعه لهتافات الناس، والذين ظلوا في الميدان لضمان عدم ضياع الحقوق التي استردوها للتو، ذهب ناحية "كورنيش النيل" وهو يتأمل الأسدين والمكان وكأنه قد افتقدهما.

نزل السلم وهو يسرع في خطواته وينظر للمكان ذاته، فوجد ذات الشال جالسةً بنفس الوضعية، ذهب وجلس بالقرب منها

تاركًا حجرًا ليفصل بينهما، فقالت له وهي مبتسمةً بثغرها الصغير:

- كل سنة وإنتَ طيب.

فقال بجفاء:

- وإنتِ طيبة.

أرادت أن تفتح معه باب الحديث، فقالت:

- بالمناسبة! أنا عيد ميلادي في نفس الشهر ده، بس قبلك بحوالي عشرين يوم، لأن أنا في واحد فبراير.

فنظر لها بطرف عينيه وقال:

- هو إنتِ آه عيد ميلادك في نفس الشهر، بس قبلي بحوالي سنة وعشرين يوم.

فضحكت وقالت بصوتٍ مرح:

- يعني أنا أكبر منك يا نونو!

فأجاب قائلًا:

- مبحبش كلمة "نونو" دي ها! وبعدين إنتِ أكبر مني على الورق بس، أنا أطول منك بسنتين.

قالها دون ضحكٍ في محاولةٍ منه أن يكون خفيفًا، فنظرت له نظرة الأطفال وقالت وهي مُستفزة:

- أنا مش قصيرة، انتوا اللي طوال!

ثم ضحكت، وقاطعها هو بعد أن أخرج ورقةً من جيبه وأعطاها إياها، سرد فيها كل ما حصل معه، كيف أنه أقبل على تلك التجربة للهروب من واقعه، وكيف قابل (المتنبي)، وعندما اختلط واقعه بالخيال، وحكايته مع (كانديلا)، ذلك الشخص الغريب الذي أفسد عليه حياته، لم يكن يريد إخبارها بأن كل هذه الرحلة قد خاضها لأجلها، لم يُرِد إخبارها بذلك خشية ألا تصدقه، تعجبت هي مما قاله، ولكن سرعان ما تذكرت شيئًا وقالت:

- في كلمة بالإنجليزي شبيهة بالاسم اللي في الورقة دي، بس اسمها "كانديل" مش "كانديلا"، ومعناها شمعة.

فتذكر هو أيضًا، وتعجب لكيفية أنها لم تخطر على باله من قبل! وقال:

- عندك حق!

صمت قليلًا ثم أردف:

- ممكن أقول لِك حاجة؟

فسمحت له قائلة:

- اتفضل.

فقال بضعف:

- بحبك!

احمر وجهها في استحياء، بلغ الجمال فيها ذروته حين نبَتَ الأحمر على خديها، وساد الصمت عليها، فتابع قائلًا:

- أنا محتاجك قوي يا عهد!

فقامت لترحل بعد أن لم تتحمل كلماته، لم تكن تريد للحديث معه لأن يهوي بها إلى هذه الدرجة، فقال هو بصوتٍ منخفض وهو يعاود النظر للمياه:

- أنا ما صدقت لقيتك!

توقفت فجأة، وقالت بنبرة طلب:

- نور! ممكن متقولش الكلمة دي تاني؟! أنا مش عاوزة أبعد.

لم يعطِها الرد، سلم رأسه لنسمات الهواء ثم قال لها بساذجة:

- ليه؟!

ثم أجابت بضيق:

- من غير ليه! مش معنى إنك لقيتني قدامك وشبه اللي في خيالك يبقى هي أنا، متخليش خيالك يجبرك على حاجة.

فتعلق بالنظر إلى عينيها وقال بصوت متلجلج:

- بس أنا ملقيتكيش قدامي فاخترتك، ولا خيالي جابرني عليكِ، إنتِ كنتِ معايا في كل وقت من قبل ما تعرفيني حتى! كنتِ معايا وكل اللي أنا مريت بيه ده كان علشان أوصلك وألاقيكِ، وأديني لقيتك، ومش هسيبك يا عهد!

كان فقدانه لأمه وصديقه كالنار التي جعلته في احتياجٍ تامٍّ لها، يحتاج ليدها لتنتشله من هذا اللهيب، لقدرٍ إختار أن يهرب فيه هذه المرة، رغم اختلافها عنه تمامًا من حيث طريقة التفكير، وآرائها التي هي عكس آرائه دائمًا وميولها الغريب، والذي اتضح له من خلال تفحُّص صفحتها الشخصية على "الفيس بوك" ومن كل ما كان يلاحظه أثناء حديثه معها، وعلى الرغم من كل هذا فكان دائمًا يشعر بأنها تشبه له.

أما هي، فمن أول وهلةٍ رأت في عينيه لمعةً غريبةً تجذبها نحوه، كانت تقاوم القدر بشتى السبل، عجز فمها عن النطق، لم تدرِ يومًا ماذا يحدث لها، في داخلها إحساس يقول لها: "اثبت، اثبت! فأنا أريد أن أسمعها منكَ مرةً أخرى، أحتاج لأن يُحبني أحدهم بالشكل الذي فقدته في هذا العالم!".

خرَّ القمر لجمالها وهو ينعكس على عينيها وهي تقول:

- صدقني، أنا اللي مش هسيبك.

ثم وضعت يدها على حجابها في توتر، لم تشأ إظهار ما تمكن منها، ثم أضافت:

- بس بلاش تاخد قرار بسرعة كده، إنتَ لسه متعرفنيش، يمكن أطلع حاجة تانية غير اللي في بالك، في ألف غيري يستاهلوك، إنتَ طيب قوي يا نور!

فأعاد النظر إليها بعينٍ يملؤها الدموع والاحتياج، كأنه طفل يصممُ على فعلته، فقال:

- وحتى لو في ألف غيرك، أنا عاوزك إنتِ بخيرك وشرّك!

صمت للحظة وقال بهدوء:

- ولو إني أشك إن فيكِ شر أصلًا!

فأضافت بخجل:

- أنا مؤمنة جدًا بإن كل حاجة ليها سبب، حتى وجودي معاك دلوقتي، بس مش للدرجة دي!

فأردف قائلًا:

- أنا عارف إن الكلام اللي بقولهولك ده، أي حد ممكن يقولهولك وأكتر كمان، بس صدقيني محدش هيحس الإحساس اللي بحسه لمجرد إني بتخيلِك، دي ثقة.

عمَّ عليها الصمت، ثم عادت وهي تعتدل لتقول:

- لازم أمشي دلوقتي، أنا اتأخرت.

فعرض عليها أن يوصلها فرفضت، ورحلت دون أن تقول حتى "سلام"!

شعر أنها بذلك قد تكون رحلت عنه للأبد، فندب حظه وندم على ما قال، ولكن كان ضعفه يزداد جدًا أمام احتياجه لها، وأفرط هو في ذلك حين أخبرها، عاد وحيدًا للبيت، واتصل بخالته ليعلم أنها قد أوصلت إخوته للبيت، صعد السلم واتجه

نحو غرفتهم فوجدهم مستغرقين في النوم، وما هي إلا دقائق وأتى أبوه الذي لا يراه إلا قليلًا بسبب عمله، فاطمأن أبوه عليه وواجهه بوجهٍ بشوش، وهو ما لم يكن غريبًا عليه منذ رحيل والدته، فقد أصبح يحاول قدر الإمكان بأن يصبح لهم الأم والأب، بات يشعر بألم ابنه فبدأ يرفق به.

انفرد (نور) بنفسه في حزنٍ تام، ووجد نفسه تتحدث بصوتٍ كان مألوفًا للغاية على أذنيه وتقول:

- ما تشبهلكش خالص يا صديقي.

فالتفت للصوتِ ليجد شفتيه تتابع قائلة:

- صدقني متنفعلكش!

فرد على الصوت الصادرِ منه قائلًا:

- الاختلاف نعمة من ربنا، وهي نعمة ربنا ليا.

فقال لنفسه بضحكٍ غريب:

- إنتَ بكده هتكون اتلدغت من الجحر أربع مرات، يا كافر!

فقام بفرك شعره حتى هاش وكأنه يضايق أحدهم، ويقول:

- مفيش مؤمن بيتلدغ من جنة.

فأردف بصوتٍ حاد:

- فوق يا نور! إنتَ موت أعز وأقرب اصحابك علشانها، لما رن عليك أكتر من مرة وإنتَ اتجاهلته، وعملت التلفون صامت، هو في الوقت اللي إنتَ كنت فيه فرحان وقاعد معاها مش فاضيله، كان قلقان عليك وجالك علشان يلحقك لما أمك اتصلت بيه وعرفت إنك مش عنده، راحلك علشان يوصلك، فمات!

بدأ وجهه في العبث شيئًا فشيئًا، وتابع الآخر منه قائلًا:

- وأمك اللي أول ما وصلها اتصال بإن الناس نقلوك من ميدان التحرير للمستشفى، مستحملتش وماتت بغيبوبة سكر! بذمتك مش حاسس بالذنب؟!

ما لبث أن سمع كل هذا، حتى ظل يخبط رأسه في الحائط بصوتٍ يكاد أن يُسمع، كان الجميع غارقًا في نومه وهو موصدٌ عليه بابه، ضرب رأسه مراتٍ عدة حتى نزفت دمًا تساقط من جبهته، حينها أخفض من صوته وقال في صراخٍ من داخله لم يُسمع:

- سيبني بقى، سيبني يا كانديلا!

فا تابع بهدوءًا قاتل:

-تِلك هي النهاية يا صديقي؛ فالنقرأ الفاتحة علينا.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يُحدثه فيها (كانديلا) في واقعه، في كل مرة كان يتحدث معه وكأنه نفسه، ازداد الأمر حتى أصبح يفعل أشياءً وينسا أنه هو الذي فعلها، وكأن شخصًا آخر قد قام بها، حتى الورقة التي قد كتب فيها اسم (كانديلا) ووضعها بين أوراق الكتاب ليتذكره، أصبح يحده نسيانها.

انخلع من عليه صوت (كانديلا)، أحس بأنه أفاق بعدما وجد دماغه تنزف، وعقله يتذكر (كانديلا)، فاعتدل وظل يربط بين الأحداث وبعضها.

جميع كتاباتك ومكبوتاتك في ذاتك لن تعبُر إلا إذا أقاموا جسرًا بينهم وبينك، وعبروا لمرةٍ واحدةٍ ليُدرِكوا كمَّ العبث الذي أصابك.

***

(كانديلا)..

الشمعة التي تضيء للجميع وتحرق نفسها حتى تنطفئ، قد استوحى عقله الباطن وصنع له تلك الشخصية، والتي هي الجزء

الآخر منه، فلم يكن أحدٌ غيره يفعل كل هذه الأشياء، كان هو ذاته (كانديلا) الذي يأتي به عقله في أصعب أوقاته، الجزء الآخر المختفي منه.

تلك الحقيقة التي أدركها بعدما وجد ورقةً أخرى بخط يده تحت مخدته، مكتوبٌ فيها "أنا أنت، أنا كانديلا"، هي الورقة التي كتبها في أحد المرات بعد أن أخبره (كانديلا) بذلك، فكتبها كي لا ينساه ووضعها في أقرب مكان له.

***

"التلاشي، أنتَ لا شيء"

٢٥ مارس ٢٠١١..

أنتَ غير موجودٍ من الأساس، حتى تُهمَّش، أو تُنسَى، أو تُترَك.

بعد حالة سكون دامت إلى ما يقارب الشهر، أرسلت له رسالةً على "الفيس بوك" طالبةً منه أن تراه في إحدى المكتبات الكبرى والمعروفة بالقاهرة، بداعي قراءة أو شراء بعض الكتب والروايات سويًا والاطمئنان عليه، كانت الرسالة كافيةً لإعادة الألوان ليومه الأبيض والأسود، ظل يراقب عقارب الساعة وهي تسير كالسلحفاة في الانتظار، فقرر أن يصحب لها معه

إحدى القصائد، لم يبرع في كتابة الشعر كثيرًا، فقد كان يهوى كتابته فقط، وخاصة في الحقبة الممتدة لغيابها.

"التاسعة صباحًا بتوقيت القاهرة"، هذا ما أعلنته محطة (القرآن الكريم) في الإذاعة، بالرغم من قدم الراديو إلا أن أباه لا يزال من عادته في يوم الجمعة تشغيله من التاسعة صباحًا وحتى أذان العشاء، يستمتع به في الإجازة الرسمية الخاصة بكل أسبوع، استأذنه (نور) في النزول، فسمح له طالبًا منه عدم التأخير، ومتفهمًا رغبته.

بنفس الطقوس وبنفس الروتين الممل، وضع سماعات الأذن وأمسك بيده رواية "يوتوبيا" للعراب (أحمد خالد توفيق)، ظل عند تلك الطقوس حتى وصل إلى المكتبة، وهناك دخل ليجدها ترتدي حجابًا أحمر اللون، فسحب كرسيًا وجلس، فبادرت هي وقالت:

- عامل إيه يا نور؟

فاستاء وقال:

- أحمد الله يرحمه كان بيقولي كده على طول، بالرغم من إننا عارفين إنه سواء كنا كويسين وبخير أو حالتنا زفت، بنقول هي هي الإجابة "كويس الحمد لله".

فابتسمت وقالت:

- تصدق! أنا بقول كده برضه.

ثم تابعت وقالت بصوتٍ رخيم:

- وبقول برضه.. بحبك!

ارتجفت وجنتاه ما بين الفرح والبكاء، وكأنه جهاز قديم غطاه التراب منذ زمان وعاد ليعمل، لمعت عيناه غير مصدقة لما سمعته أذناه، فقال:

- إنتِ واعية للي بتقولي ده؟!

فأمالت رأسها وجزت على شفتيها الورديتين وقالت ببراءة الأطفال:

- لأ مجنونة!

فرح لما قالت، ودبت البسمة فيه تعيده للحياة، وقال بفرح هيستيري:

- أنا بفرح، أنا بفرح، أنا بفرح!

أراد أن يحتضنها في هذا الوقت، أراد أن يأخذها من هذا العالم إلى عالمٍ آخر لتسكن هي فيه بين أضلعه، لم يكن يريد غيرها من البشر، ولكن كان في كل مرة ينخدع في تلك الشخصيات السطحية، كان يُشبِّه عليهم بها، وهي التي كانت لا تُشبه أيًّا ممن مرَّ بهم، وهذه دعوة إلى الله قد استُجيبت.

لو أن له أن يعيد أمه وصديقه إلى الحياة، لكان أسعد السعداء، مدَّ لها يده بورقة مُطبقة وطلب منها فتحها، فوجدت بعض الكلمات العامية المكتوبة تقول:

"أدمنتك لما سبتيني

حسيت إحساس محسبتلهوش

ازاي أحب حد خطف قلبي

وعيني ما لحقتهوش

ولحد ده اليوم

بيمر كام يوم

مر السنين والغيوم

فِبُعدها وفِعينيها

لسه بتوه فيها

ولسه المسافات مكلبشة

فِإيديها اللي الحرير فيها

عبارة عن بعض خيوط

أنا فيها مربوط

بقيت بحبك لحد الموت

لحد أما الروح تفوت

منك وتروح للي خلقها

ازاي حياتي قبلك

أنا كنت عايشها؟!"

رغم بساطة الكلام وضعف بنائه، إلا أنه أسعد قلبها وملأها بالبهجة، فدعابته قائلة:

- ده إنتَ طلعت شاعر أهو وبتقول حاجات حلوة!

فضحك هو الآخر لضحكاتها المتلألأة، بات يستغرب عينيها والتي أصبحت كبحرٍ من القهوة يغرق فيه، وكلما وصل للأعماق

يجد أعماقًا أكثر فيغوص أكثر فيذوب بدوره حتى يتلاشى، لم تفلح معها كل مراكبه من الهوى فكلها كانت تتحطم، كلها كانت تجعله يدمن التحطم فيها.

تاه وصمت، فقالت له:

- مالك؟!

فأجاب بنبرةٍ لا يصاحبه فيها عقله من أثر السكر فيها:

– مش عارف، بس أصلك إنتِ عنيكِ حلوة قوي!

أضاء ثغرها بابتسامتها المعهودة، وقالت له بخجلٍ وصمت:

- وإنتَ رزق من ربنا ليا.

الفصل السادس

خُلقت منه، فكان لها

١ فبراير ٢٠١٣..

استيقظت على أصوات رنين جرس الباب، قامت لتفتح فسبقتها أمها، وإذا بها تجد باقةً من الروايات ملفوفةٍ بشريط هدايا، ومكتوب على بطاقةٍ وُضعت أعلاها "كل سنة وإنتِ معايا، كل سنة وإنتِ طيبة"، وكتب أسفل البطاقة (نورهان)، فرحت كثيرًا بما وجدت، استفسرت منها أمها عنها، فأجابتها أنها من صديقةٍ لها في الجامعة عزيزة عليها نوعًا ما، ثم أخذت منها اللفة وذهبت إلى الشرفة، اتصلت برقمٍ ما في هاتفها وقالت:

- كل سنة وإنتَ معايا، يوه! أقصد وإنتِ معايا يا نورهان!

فضحك هو وقال:

- لا! اصحي شوية كده علشان مش ناقص على الصبح.

فقالت بسخرية:

- يعني أقفل يعني؟!

فأجاب بضحك:

- لأ، يعني متقوليش الاسم ده تاني.

فقالت بنبرة عناد:

- هو مش إنتَ اللي كاتب إن ده اسمك على الكارت.

فقال وهو يرتشف رشفةً من كوب الشاي:

- اعتبريني مش أنا اللي جايبها.

فأصرت على العناد وقالت:

- يعني إنتَ مجبتش هدية؟!

فأجاب ببلاهة:

- آه.

فقالت بصوتٍ عذب:

- إنتَ كده كده جايبلي هدية من زمان، هدية وجودك دي عظيمة وحلوة قوي!

فانسحب من الكلام، وأبدل الموضوع وقال:

- بس إيه رأيك فيهم؟ أنا بقالي أربع شهور بحوش، وبسجل في ملاحظاتي الروايات اللي عاوزة تجيبيها.

فابتسمت وظهر المرح على صوتها:

- ما أنا حسيت، خصوصًا إن فيه تلاتة منهم لسه جايبهم امبارح.

فتوالت ضحكاتُهما هما الاثنان، ثم أنهيا بعد أن أحسَّت قرب والداتها.

مر عامان ما بين الألم والأمل، امتلك فيهما جراحًا كانت تداويها هي من حينٍ لآخر، أصبح في السنة الثانية له في الجامعة، بعد أن دخل كلية الهندسة الزراعية بمجموعٍ جيد نوعًا ما، وهذا بعد وفاة أمه وصديقه ومرور عامين على فراقهما، وتردِّي مستواه الدراسي في السنة الأخيرة له في الثانوي العام، كانت أحواله النفسية حين ذاك كفيلة بأن تجعله يُعيد السنة مرة أخرى، ولكن تخطاها بأملٍ صغير، كمَن تشبث بجذع شجرةٍ مكسور ليُنقذ نفسه من مياه الفيضان.

لم يتزوج أبوهم من امرأةٍ أخرى، وتكفلت (إسراء) ببعضٍ من مهام أمها، وقد أصبحت الآن في الصف الثالث الثانوي، بينما أخوه (عمر) هو الآخر في الصف الثالث ولكن الإعدادي، كان رحيل أمهم شيئًا صعبًا لم يعتادوا عليه بسهولة، فهُم بالكاد بدءوا يستوعبون أنها لم تعد موجودة.

قبض على كوبٍ آخر ولكن من القهوة، أدمن جسده الكافيين، وأصبح يُكثر من شرب أي مشروبٍ يحتوي عليه، قد صارت أشرطة المسكنات الشرعية الفارغة تُزين مكتبه، واللون الأسود الباهت يتعمقُ في أجفانه، شعره وصل طوله إلى منكبيه، الغرفة باتت ذات طابعٍ خاصٍّ من الفوضى، كتبٌ هنا وروايات هناك، ورق يحوي محاولاتٍ فاشلة لرسمها في أنحاء الغرفة، وبعض الكلمات التي لا تنتمي للشعر بشيء في كل مكان، يحاول فقط أن يعبِّر عنها، ولكن كانت كل محاولاته فاشلة، أنهى ليلة الأمس مجلد كتابةٍ ووضع له اسم: "حديث مع الغائبين"، من هنا كان يُحدث أمه ويرتمي إليها بين أروقة الكلِم المنتشلة من الافتقاد، ويروي لصديقه ويقُص عليه بأنه قد وجد حياته، ولكن بعد أن فقد الجزء الآخر منها.

***

يوم من الروتين المعتاد قد بدأ في الحدوث، كان هو المتغير الوحيد فيه حتى وصلت كلتاهما، صديقتها (أميرة) التي كانت ترافقها دومًا هي و(ندى) في المرحلة الثانوية إلى أن افترقن في المرحلة

الجامعية، ولكنهما هما الصديقتان الباقيتان على الوصل بها حتى الآن، فهما القريبتان منها غالبًا.

دخلتا غرفتها ليتسامرن الحديث، حاملتين لها هديتين قد خبَّأنها في الحقيبة التي كانت تحملها (ندى)، تظاهرتا بغفلتهما عن أن اليوم هو عيد ميلادها، وكالعادة لم تكن هي تُبالي، أرادت (أميرة) أن تُحرك سكونها فقالت:

– بصي! أنا معايا خمسة جنيه، أقوم أشتريلك شوكولاتة وناكلها كلنا؟ ولا بلاش؟!

فأجابت بغضب:

- لأ، بلاش!

فشاركتها (ندى) في حملة الاستفزاز وقالت:

- أصلًا احنا هديتك يا حبيبتي، صح؟!

فضحكت، وقالت بقليلٍ من الجرأة والضحك معًا:

- لأ طبعًا!

فتهمستا هما الاثنتان وقالتا بضحك:

- صح! شكل في حد خد مكانا.

فاكتفت هي بالصمت، حتى أخرجتا الهديتين، والتي كانت إحداهما خاتمًا يحمل أول حرفٍ من اسمها، والأخرى عبارة عن مذكرتين تحملان أشكالًا ذات طابعٍ ورونقٍ وردي، فابتسمت وقالت لهما في امتنان:

- حلوين زيكوا! شفتوا النفاق؟!

فضحك ثلاثتهن وأخذت هي تبدأ في الحديث معهم بلهفة، حتى رنَّ هاتفها، فابتعدت عنهما قليلًا لتتحدث، فأتى لها صوته وهو يقول:

- بقولك، هتيجي معايا بكرة نروح معرض الكتاب؟

فضحكت وقالت:

- أنا بعد كم الروايات اللي إنتَ جيبتهولي ده، مش هشتري حاجة دلوقتي خالص!

فاستند على سور الشرفة وقال:

- حقك! ما إنتِ لقيتي الغبي اللي يجيبلك.

لتتعالى نسمات ضحكاتها وتقول:

- شوفت بقى!

فسلَّم لأمرها وقال:

- طب خلاص، هروح لوحدي.

فأردفت وهي تميل بخدها أكثر على الهاتف وكأنها تحتضنه بوجنتيها:

- لا! مانا مش هسيبك تروح لوحدك، علشان بغير.

فضحك كلاهما، وقال هو في استشراقٍ لوجهها:

- هستناكي الصبح في نفس المكان.

فردت قائلة:

- وأنا هستناك.

شعر بأنه قد نسي شيئًا فقال:

- آه صح! في حاجة مهمة نسيت أقول لِك عليها!

فسألته:

- إيه؟

ليردف:

- بحبك!

فابتسمت وقالت ببهجة:

-طب نقول سلام بقى علشان في ضيوف، وعلشان منتفضحش، وعلشان بحبك!

فضحكا بسعادة ثم أنهيا المكالمة، فوجدت ضحكات صاحباتها تتابعها على التوالي وهما تنظران لها، فقالت لهما في تعجُّب:

- إيه؟!

فنظرت كلا منهما إليها وكأنهما قد فهمتا أمرها، وقالت إحداهما:

-إنتِ اللي إيه؟! هو إنتِ مش شايفة نفسك وإنتِ زي المجنونة من شوية؟! متجنننا معاكِ!

فقالت في عدم اكتراث:

- مفيش كنت بسمع فيلم لـ"إسماعيل ياسين" في التليفون...

اختقلت من كلامها موضوعًا آخر، وبدأت تمارس حيلتها المفضلة في تغيير مجرى الحديث، على الرغم من أنهما صديقتاها المقربتان، إلا أنها تميل لوحدتها غالبًا، وتحتفظ ببئر أسرارها لنفسها.

***

انكب عليها الليل يحملُ بين طياته حنينًا لأرضٍ تفوح منها رائحة المسك، حنينًا لدنيا لم تعش بها سوى مرةٍ مرت سريعًا، تلك الأرض التي تتعانق بها أشجار الزيتون مع الرصاصات، أرضها المقدسة وبيتها، لـ"فلسطين"، التي لم تغب عنها يومًا، والتي ما زالت تحتفظُ بحلم العودة إليها، لم تدركها سوى مرةً وهي طفلة في السابعة من عمرها، كانت في زيارة مع أبيها لجدها، والذي بعد رحيله لم يعد أبوها يذهب إلى هناك، وانشغل أعمامها بمشاغلهم كما انشغل أبوها، فمنهم من ظل يقطن بفلسطين، ومنهم من رحل إلى غزة وتحديدًا من مسكنهم في "خان الزيت" الذي سيطرت عليه سلطات الاحتلال.

على أضواءٍ خافتة، كانت ساهرة ترسُم المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، والذي يخلط بينهما البعض ولا يستطيع التفرقة بينهما، رسمتهما يعلوهما علمٌ يُرفرف، وقد رسمت العلم قطعةً من القماش على هيئة أرض فلسطين كاملة، ملونةً بألوان علم فلسطين، كان لديها الشغف لأن ترسُمهما يومًا عن كثب، لو أنَّ لها أن تتخيل وطنًا غير فلسطين، لتخيلت وطنًا يحمل علمه جميع

ألوان الدول العربية، وطنًا دون غاصب أو محتل، وطنًا له قضية واحدة، قضية لا تموت!

الفصل السابع

الحقيقة هي أحد أنواع الخيال، هي أحد أنواع السراب..

٢٣ سبتمبر ٢٠١٥..

كان يومًا لم تشرق الشمس به سوى سهوًا، كان الرعد الناشئ من أصواتهم المتعالية، كافيًا لشقِّ سماء دماغها بالصداع، حدث ما كانت تخشى دومًا حدوثه، انفصل والداها وآست هي من معاناةٍ قررت فيها الذهاب مع أبيها إلى فلسطين، رحلت دون سابق إنذار، ولم تترك له سوى رسالة واحدة تُخبره فيها بأنها مضطرة للعودة إلى بلادها، وكأنها تقُص عليه قصة فراقهما وابتعادها عنه، اعتذرت له عن مغادرتها فجأةً مُعلمةً أنها لن تعود، وأن هذا سيكون آخر حديثٍ بينهما، طالبته أن ينساها، وهي أعلم الناس بصعوبة ذلك.

لن تفتح مرةً أخرى، هكذا علِمَ بعد انتظارٍ طويل دام لساعات، أبهذه السهولة ترحل عن حياته، أتريد أن تختفي مرةً أخرى، أربع سنوات لم تكن تكفيه جوارها، وهو من كان يريد أن يعيش طيلة حياته معها، ومعها فقط، لم يطلب أكثر من ذلك!

كان يتأمل بصمتٍ وهو يتملكه الكبت "قرية نمل" يمتلكها في غرفته، والتي ظل يتابعها لما يقرب الأسبوع، فهي ليست كأي قرية نمل عادية، كانت فريدةً من نوعها، فقد ماتت ملكتهم بعد

أن دهسها عن غير قصد، وتركت من بعدها ملكةً صغيرة ترثُ عرشها، ولكن العجيب في الأمر، هو استعانة بعض النملات الكبيرات بعنكبوت، فقد كونت جيشًا صغيرًا من النمل رغم رهبتهم له، وجعلوا تلك الفئات الصغيرة من النمل تنقض رغمًا عنها على أي أختٍ لهم تُعارض النملات الكبيرات، وحتى أن العنكبوت قد لفَّ بخيوطه الملكة الصغيرة ووضعها ضمن وجباته على الخيوط الكثيرة المتشابكة، وأدهى ما في الأمر هو أن العنكبوت كان يقطُن عند برطمان السكر، وكان هو الذي يرمي لهم الحبات الصغيرة ليجمعوها، ويعود فيخطف منهم ما يشاء كل يوم، ليضمن وجبةً ثابتةً من الطعام، كان يحب (نور) تأمل أصغر الأشياء في عزلته، السماء، السقف، الحشرات أو حتى اللاشيء!

***

٨ أكتوبر ٢٠١٥..

مرت الأيام ولم يترك أي سبيلٍ إلا وسار فيه باحثًا عنها، وسأل عنها صديقاتها على "الفيس بوك"، ولكن لا أحد يعرف لها

مكانًا، يريد أن يعلم العنوان الذي كانت تسكن به في فلسطين، إلى نفدت كل الوسائل، ولم تتبقَّ له سوى وسيلةٍ واحدة.

ذهب لبيتها القديم وطرق بابه محاولًا إيجاد أحد، دون حتى أن يفكر فيما سيقوله لهم، وبعد قليل من الدقائق، فتحت الباب امرأة كانت تشبهها قليلًا فأدرك أنها أمها، سألته بتعجب:

- نعم! إنتَ مين وعاوز إيه؟!

فظهر على ملامحه بعض القلق والتوتر، ثم أخذ قسطًا من الهواء وقال:

- أنا زميل عهد في الكلية، وكنت عاوز أتقدم لها.

لم يكن الكلام محبوكًا، ولكنه كان أنسب ما يمكن أن يقال، اندهشت هي لما يقوله وردَّت:

- إيه؟! بس عهد مكلمتنيش عنك قبل كده!

فتصنع ابتسامة وقال:

- هي متعرفش، أنا بصراحة بحبها من بدري، وكنت مستني الوقت الأنسب اللي آجي علشان أتقدم لها فيه.

فقالت:

- بس ده مش الوقت الأنسب خالص!

فتظاهر هو بعدم معرفته بشيء وقال:

- ازاي حضرتك؟!

فقالت بنبرة اشتياق لابنتها:

- في ظروف كده حصلت، وهي مش هنا حاليًا، وهتطول.

فأخذ منديلًا من جيبه ومسح قطرات العرق التي تساقطت على وجهه، وقال:

- طب معلش لو مفيهاش إزعاج، تعرفيني هي فين بالظبط دلوقتي!

أردفت بالرد قائلة:

- هي مش في مصر.

فقال في تسرع:

- مش مهم، المهم أوصل لها.

فتصنعت الابتسام هي الأخرى وقالت له:

- طب ثواني!

دخلت الشقة وأغلقت الباب بعد أن استأذنته، ثم فتحته بعد لحظات وأعطته ورقة وقالت:

- هو ده العنوان بالتفصيل، ربنا يوفقك يا بني.

فابتسم وقال:

- يا رب!

وشكرها ورحل.

***

وسط شوقها له كان قلبها يناجيه، يريد أن ينتشلها من ذاك اللهيب المتصاعد مع خفقان نبضات عقارب الساعة، هذه المرة حاولت رسمه فعجزت عن ذلك، على الرغم من أنها براعة في رسم الأشخاص، وعلى الرغم من بساطة ملامحه، ولكن دائمًا ما يعجز القلب عن تكوين الصورة الأنسب، تلك الحقيقة التي بالغوا فيها، بأنه عند الغياب تتعلقُ صورة ذلك المفتقد أمامك، فإن كنت قادرًا على تخيل صورةٍ له، فهو ليس بمفتقد، عجزت أحبارها سابقًا عن الكتابة عنه، والآن تعجزُ فرشاتها عن رسمه،

تلك المسافات البعيدة التي غمرت ما بينهما، لم يكن من السهل اجتيازها.

لم ترتح هي تمامًا، ولم تكُف عن القلق بعدما أحست بوخزةٍ غريبة لم تجد لها مصدرًا، أحست بها أثناء محاولةِ الرسم تلك، شعرت بقلق شديد لم تستطع تهدئته إلا بأن صلَّت ركعتين، ودعَت ربها له أن يكون بخير.

***

٩ أكتوبر ٢٠١٥..

قد كان رتب حقيبته بالأمس واستعد دون أن يُعلم أحدًا، خرج صباحًا أثناء غفوة والده، أحست به (إسراء) فسألته إلى أين هو ذاهب، ليخبرها أنه سيذهب للجلوس في المكتبة قليلًا ثم يذهب لصلاة الجمعة، لم تكن مستفيقةً هي، فتركته يذهب بتلك الكذبة شديدة الوضوح.

توجه نحو الموقف الخاص بالعربات الذاهبة إلى سيناء، كان ينوي الذهاب برًّا رغم كل الأحداث التي تجري بفلسطين وسيناء، لم يكترث لأي شيء، فقط توجه إلى سيناء، تاركًا عقله ومُصطحبًا قلبه.

كانت فلسطين تعيش حالةً من الاضطراب وسط موجة جديدة واندلاع انتفاضة الفلسطنيين، تمختر في الطريق إليها وهو يضع سماعات الأذن ويتأمل الطُرق مستمعًا لأغنية لـ(عبد الرحمن محمد) وهي تقول:

"إن روحي تُناجيها
وعيناي تسير إثر خُطاها
لم يشفني سوى أملي
أنني يومًا أراها"

***

..٢٠٢٢

جرت الأسابيع ما بين الحاجة لها وافتقادها، كانت عائلتها بأكملها تئن على رأسها بنسيانه والنظر لما هو قادم، إلا أن أباها كان هو الشخص الوحيد الذي يريدها أن تعود إليه، وبشكلٍ غريبٍ كان يُذكرها به كل يوم، حتى اضطر لأن يخبرها بالحقيقة التي أُخفيت عنها لبضع سنين، جلس معاها أبوها ذو الشعر

الأبيض المتطاير الطويل وذو البطن المسطحة، قال وهو يتفقدها من خلال نظراته:

- فيه حاجة يا بنتي أنا مداريها عليكِ من بدري قوي، وجه الوقت اللي لازم تعرفيها!

فتعجبت وقالت في حيرة:

- حاجة إيه بالظبط؟!

فقال باستياء:

- بخصوصه هو!

فأردفت قائلة:

- ماله؟!

فأجاب بصوتٍ منخفض:

- من حوالي سبع سنين كده لما عملتي الحادثة، كانت حالتك صعبة لحد ما ربنا لطف، بس كان لازم يحصل حاجة، الدكتور قال إنك مبتخلفيش!

فجحظت عيناها وبدأت الدموع بالانهمار غصبًا، ليتابع هو قائلًا:

- أنا وهو بس اللي عرفنا، هو ساعتها زعل قوي، واتفق اتفاق معايا، وهو إنه ميقوليكيش علشان تعيشي طبيعي، وقال إنه هيجيب السبب في إنكم مش عاوزين تخلفوا دلوقتي، ولما إنتِ ضغطي عليه جاب السبب فيه.

فرَّت الدموع من عينيها هاربةً من الألم الذي اشتعل بداخلها، فربت على كتفها وقال في حنو الأب:

- متسيبهوش يا بنتي.

فازادت بكاءً، فقال:

- متعيطيش قوي كده، أنا فهمته إنك عاوزة ترجعيله من غير ما أقوله إني قولت لك، وهو جاي النهارده ومعاه المأذون.

ثم أقام لها رأسها بعد أن أنكستها، وتابع:

- قومي اغسلي وشك بقى، أحسن عريسك زمانه على وصول!

وضحك في محاولةٍ لإضحاكها، فقامت هي تعتدل وتفكر باعتذارٍ فعلي تقوم به، أو أي شيء لإسعاده.

وصل هو ليلًا وقد أتى بالمأذون وقام بإرجاعها وسط فرحة الباقين الزائفة، همَّ بها إلى البيت وهي متعلقةٌ بالنظر إليه، كأنها طفلة صغيرة تتعلق بأبيها، وكانت السعادة تملؤها من كل اتجاهٍ حين قال:

- أنا فكرت في كام حاجة بحيث أني أعوضك، وأهمهم إن احنا لازم نعيشها من الأول كإننا لسه متجوزين.

فنظرت له بعينين ملتمعتين وقالت:

- وأنا موافقة!

فنظر للأرضِ وهو يقول:

- ولازم نحاول ننسى حكاية الخلفة دي، معلش استحملليني.

في هذه اللحظة، ضمَّت نفسها إليه ووضعت يدها الصغيرة على رأسه، وردت بهمسٍ حزينٍ صاحب قطرات دموعٍ شعرَ بها:

- أنا عرفت كل حاجة! عرفت قد إيه القدر إداني أكتر مما كنت أتصور، عرفت أنا ليه عديت كل الحدود وبقيت فوق كلمة بحبك.

فضمها أكثر إليه ومسح على رأسها، ثم رفعها عن الأرض لتلمس سماءً لم تطُلها إلا في خيالهما، دار بها وكأنه يُعيد لها ذكرياتهما المفضلة، وكأنها ما زالت بفستانها الأبيض وترقص معه رقصة "Slow".

السعادة شيء لا يحدث إلا باجتماع طرفيه، أنت، وأنت الآخر المختلف في نفس العالم.

***

٩ أكتوبر ٢٠١٥..

بعد رحلةٍ دامت لساعات، وصل قطاع غزة، وبدأ يتجول فيها وهو يحمل الورقة باحثًا عن العنوان، ظل يسأل هنا وهناك، ويمشي في شوارعها المزدحمة قليلًا، لكنها كانت ذات شوارعٍ واسعة وساحاتٍ خضراء.

حتى سمع طلقاتِ نار، ووجد البعض يهرول فذهب معهم، ظلت أصوات طلقات النيران مستمرة لمدة من الوقت، وأيضًا رائحة الغاز المسيل للدموع، كان بعض الشباب يرشون "كولونيا" للتخفيف من حدة الغاز، وصار هو ما بين كرٍّ وفرٍّ لا يعرف إلى أين هم يذهبون، ولا إلى أين يذهب، وحين بدأت

الأوضاع تهدأ، كان قد سقط العديد من الجرحى والقتلى، فوجد نفسه فجأةً يمشي بينهم وبدأ يقول: "يا الله!"، وهو يهلع من المنظر، حتى وجد جثةً مغطاةً بالشال الفلسطيني، كان كنفس الشال الذي عكفت عيناه على رؤيته، لم يعلم ما الذي دفعه لأن ينزعه من عليها، ليجد جثةً لفتاة! تأملها وهو غير مصدق، أيكون البقية قد رحلوا عنها؟! لم يجد إلا الصدمة، كاد قلبه أن يتوقف، نزل على ركبتيه في يأسٍ وهو يتحسس موضع حجابها ويقول:

- أنا جيت لك أهو يا عهد! أنا وعدتك إني مش هسيبك، سمعاني؟!

(عهد) هي الكلمة التي ظل يكررها، وهو يرى روحه تفنى أمامه، إنه الآن يتركها دون وعده.

***

..٢٠٢٢

ظل يدور بها، ثم أنزلها ووضع قبلةً على شعرها البني، وقال:

- إنتِ أحسن حاجة حصلتلي وبتحصلي.

فامتثلت ووقفت أمامه محدقةً بعينيه، وقالت بصوتها الملائكي:

- مش عارفة ليه مبزهقش من البص ليك!

فضحك وقال بيقين:

- ببساطة لأن لون عنيكِ بينعكس في عينيا فبتشوفي نفسك!

فردت عليه وهي تمسك بيديه الاثنتين بشدة:

- بحبك يا نو...

تبخرت، وامتلك البيت صوت صفيرٍ وسكون، جميع الأركان والزوايا بدأت تتبدل إلى اللون الأسود الأعتم والعتيق، وجد نفسه جالسًا واضعًا رأسه أعلى ركبتيه، وجهه كله مغطى بالشعر الأسود وجسده أصبح نحيلًا للغاية، ثم سمع صوتًا من مصدرٍ مجهول ودون رؤيته، صوتًا حادًّا فقط يقول:

- عهد ماتت يا صديقي من بدري، جرب تحلم تاني، يمكن تعيش!

سجن "الرملة".. إسرائيل.

تمت بحمد الله

على الهامش

لا يوجد كتاب يسمى "الحلم الواعي"،
ولكن الحلم الواعي حقيقي.

الكاتب في سطور

محمود مصيلحي محمود، يدرس بالصف
الثاني الثانوي العام أثناء كتابته لهذه
الرواية، وهي أول أعماله

شكر خاص

ليت الفرصة تسنح لي بشكره..

د. أحمد خالد توفيق

ذلك الغريب الذي كلما قابلته في أحد سطور رواياته أتعمق به أكثر، لم أرهُ وجهًا لوجه سوى في كتاباتِه، وأحد حلقات رحلة كانديلا "الحلم الواعي"، هو من أسكن القراءة في أذهان آلاف الشباب، ومن جعل الشباب يقرأون..

رحم الله د. أحمد خالد توفيق، رحم الله "العراب".

□

شكرًا لكل اللي دعموني وآمنوا بيا..

أهلي.. أمي وأبويا وإخواتي وجميع أفراد العيلة، اللي بستمد منهم قوتي وبكمل، ربنا ما يحرمني من نعمتكوا.

صاحبة الرواية "من جعلتني أكتُب".. (إيمان محمد)، غيرت كتير فيا، ولولاها ما كتبت، ستظل بصمة كبيرة في حياتي وإن رحلت، وإن شاء القدر بأن يجعلها فترة، فهي الفترة التي لن تُنسى ما دمت حيًّا وأكتُب، أدعو الله بأن تدوم فترتكِ حتى إلى نهاية ما تبقى لي من العُمر ♡

باعثة الأمل.. (هند محمود)، المصححة اللغوية والإملائية اللي دعمتني بشكل كبير، كبير قوي كمان، وكانت نعمَ الأخت في دعمي معنويًّا وسط أمواج الفشل، من أحسن الشخصيات اللي ممكن تقابلها في حياتك، شكرًا بجد.

ومقدرش أنسى أصحابي، الشلة الكبيرة اللي مشاركاني حياتي.. (يوسف هاني، أحمد عاطف سالم، محمد عاطف جميل، عيسى علي، محمد علي "عبد الحي"، يوسف صلاح، عبد الرحمن أبو جاد، ويوسف وائل).

وأخيرًا بشكر الهاند فري، وأكواب القهوة المحوجة، وأكواب القهوة بالبندق، وأكواب الشاي ومذاكراتي على دعمهم ليَّا أثناء الكتابة.

وطبعًا شكرًا لـ(كانديلا) رفيق الرحلة..

حروف من نور

١٠ برج الاشراف شارع الهداية المريوطية فيصل الجيزة

"جمهورية مصر العربية"

الايميل yavinour@gmail.com

ت/ ٠١٠٠٨٢٨٩٦٦٧ (٠٠٢)